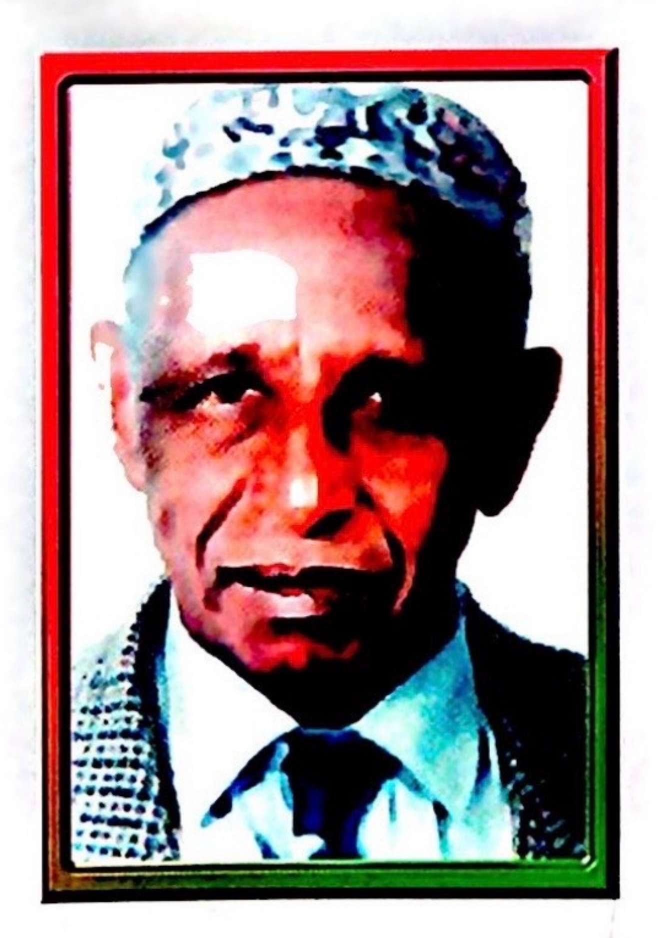


ذكريات و وقفات

مع الاديب العلامة البروفسور عبد الله الطيب



مصطفى عوض الله بشارة

مصطفى عوض الله بشارة

ذكريات ووقفات
مع الأديب العلامة عبدالله الطيب

الطبعة الأولى

كتاب

ذكريات ووقفات

مع الأديب العلامة عبد الله الطيب

المؤلف: مصطفى عوض الله بشارة

الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م

تصميم الغلاف: الفنان /بدر الدين محمد النور

الجمع والإخراج: عبد الله عوض الفاضل

التصحيح الطباعي: الأستاذ/ أبو عاقلة إدريس

الناشرون

مؤسسة أروقة للثقافة والعلوم

السودان - الخرطوم

الإشراف والتنفيذ الطباعي

قاف للإنتاج الفني والإعلامي

الخرطوم - السودان

الطابعون

مؤسسة الصالحاني

سوريا - دمشق

الإهداء

إلى النابغة .. العبقري الفذ ..

ابن السودان البار .. المفكر .. العالم .. الأديب

الشاعر المبدع :

البروفيسور عبد اللّه الطيب

تَحِيَّةَ حُبٌ .. وَوَفاءٍ ... وَتَقْدِير

مصطفى عوض الله بشارة

محتويات الكتاب

الموضـــــوعات

الإهـــــــــــداء

المقدمة / بقلم البروفيسور محمد إبراهيم أبوسليم

مدخل إلى الكتاب بقلم الأستاذ / أحمد عبدالله المغربي

سيرة البروفيسور عبدالله الطيب

إفادات من السيدة جوهرة «جيرزالده الطيب»

ذكريات مع البروفيسور عبدالله الطيب

قصائد حب وتقدير للدكتور عبدالله الطيب من
المغربي والمجذوب ومختار محمد مختار

فوز عبدالله الطيب بجائزة الملك فيصل العالمية

اعتلال صحة البروفيسور عبدالله الطيب

شهادة أديب معاصر لعبدالله الطيب

وقفات أدبية مع الأديب العلامة عبدالله الطيب

الأديب عبدالله الطيب واقتباسات «إليوت» من الشعراء العرب

أضواء على المؤلف الضخم «المرشد إلى فهم أشعار العرب»

البرفيسور عبدالله الطيب مع الجرجاني وابن الأثير

البروفيسور عبدالله الطيب مع الجاحظ وشكسبير وامْرِئِ القيس

الفارابي والمعري وعبدالله الطيب

التجاني يوسف بشير والطيب السراج

وإسحاق الموصلي وعبدالله الطيب في المرشد

حكاية تاجوج والمحلق بين الدكتور عبدالله الطيب وصالح ضرار
ومبارك أزرق «ثلاث نهايات مختلفات!»

وقفات مع الإبداع الشعري للبروفيسور عبدالله الطيب

الموضوعــــــات

نماذج من شعر الرثاء والفرنجة والعامية في كتاب «ذكرى صديقين»
مقتطفات من شرح الدكتور عبدالله الطيب لآيات من القرآن الكريم
معالجة مشكلة الأداء في اللغة العربية من وجهة نظر البروفيسور
الأديب البروفيسور عبدالله الطيب ومكايد خصومه والأشجان
لمحات من تكريم الأديب الكبير عبدالله الطيب رسمياً وشعبياً
صورٌ ورسوم لشخصيات ومعلومات وردت بالكتاب
نموذج من إهداءات البروفيسور عبدالله الطيب للمؤلف
كتب صدرت للمؤلف

مقدمة

بقلم البروفيسور / محمد إبراهيم أبوسليم

هذا كتابٌ يجمع بين أديبين، كلٌ منهما أثيرٌ عند الآخر والاثنان أثيران عندي، وحظهما من التقدير عندي كثير.

أولهما أستاذنا عبدالله الطيب، وهو عالمٌ وأديب غنيٌ عن التعريف بشهرته الواسعة ومكانته الأدبية العالية وعرشه القومي الخاص، ولست أراني أركب الشطط للتعريف به وبأعماله الكثيرة ومحيطه الواسع من المعارف، ثم إنَّ هذا الكتاب الذي نُقدِّم له مُكرَّسٌ للتعريف به وبأعماله عرضاً وبسطاً.

أما الثاني فهو مؤلف هذا الكتاب الأستاذ مصطفى عوض الله بشارة، وهو أديبٌ، وشاعر وناثر، كثير الإنتاج، ينشط في الساحة الأدبية بدأبٍ ويكتب في الصحف ويرتاد المنتديات مستمعاً ومحاضراً ومشاركاً في هموم الأدباء والكتاب .. وقد تابعت كثيراً مما كتب لأنني جنيتُ منه الفائدة، وجلستُ إليه فأسعدني بأدبه ولطفه وقد عهدته جاداً في مسعاه الأدبي باذلاً كثيراً من الجهد.

وإن له مسعى لنا لا ننساه له، فقد جاءنا يوماً بدار الوثائق وجلس، وتكلم بلطف وقال إِنَّهُ زار مدينة سواكن وتجوَّل بين خرائبها، وقد شدَّه قصر فدخله وتجول في أنحائه ووجد في بعض حجراته ورقاً، فجمع منه قدراً، وكان أغلبه قد طغت عليه فطريات رطوبة البحر فأنقذ منها ما استطاع وأزال عنه الفطريات وجاء به إلى الدار لعله يكون مفيداً فيحفظ، ولعلَّ أن يكون فيما فعل تنبيهاً يدفعنا إلى اِسْتِكْشَاف ما هنالك .. وقد شكرته على همته.

ثم إِنِّي نظرتُ في الورق الذي أتى به فيما بعد، فوجدته ذا فائدةٍ مقدرة، وأكبرتُ همة الرجل، وتقديراً لجهده أشرتُ بحفظه، وأرسلته إلى إدارة المستودع مصحوباً بمذكرة عن هذه المناسبة، إلا أن هناك زاوية أخرى، وهي أن سواكن مدينة مهجورة وقد اندثرت الحياة فيها – أعني حياة المدينة القديمة – وينبغي من وجهة نظر الأرشيفيين حفظ كل ما يتعلق بها أو ما وصلنا منها مثلهم في ذلك مثل رجال الآثار الذين يجمعون

كل ما يجدون في مواضع الآثار، لأن ما قد يُعتبر عندئذٍ ثانوياً، لهُ قيمة أثرية مثلهُ مثل الأثر الكبير أو المهم لمجرد أنه ينتمي إلى هذه الأسرة، بل إذا فُقِدت قطعة مهما كانت ثانوية تكون المجموعة قد فقدت طرفاً منها وانخفضت قيمتها .. وما لا تدرك قيمته أنت في ساعتك قد تدركها في وقتٍ تالٍ أو قد يدركها غيرك لمناسبته.

وهكذا عندما تقرر غرق حلفا وانتهاؤها من الوجود قرر الأرشيفيون ألا يعدموا أية وثيقة من حلفا أو عنها مهما بدت صغيرة.

ولهذا كله قدرنا مسعى الأستاذ بشارة للفت نظرنا إلى وثائق سواكن، وقد دقَّ الأستاذ على وترٍ حساس في نَفْسِي إذ جاءني من باب مهنتي وهوايتي.

وأذكر بهذه المناسبة أني وزميلي الراحل مبارك سري زرنا مدينة سواكن في أواخر الخمسينيَّات وجمعنا بعض الورق وانتهينا إلى أن المرجو ليس مغرياً ولكننا عدنا بملفات بورتسودان القديمة ومدونات عن سواكن ذات قيمة عالية، وقد نظر فيها كثير من الباحثين وكان من أهمهم باحثة أمريكية وضعت كتاباً ممتازاً عن السودان.

وعناية الأستاذ بشارة بوضع كتاب عن عبدالله الطيب تأتي من قيمة إنسانية رفيعة هي الوفاء.

والكتاب - كما سمَّاه عن حق - وقفات، لأنه ينتقي من حياة الأستاذ الطويلة الحافلة معالم بارزة، ومن أدبياته مواضع من هنا وهناك، ومن قضاياه العلمية والاجتماعِيَّة لمحات وهو إذ ينتقي هذه المعالم والمواضع واللمحات يجعلك قريباً من الدكتور عبدالله وكأنه هو الذي يتكلم إليك لأنه يقتطف منه الجملة أو العبارة أو يلخص نصه.

بدأ الأستاذ بشاره كتابه بالسيرة المختصرة، وهنا اختار السيرة الذاتية كما جاءت في كتاب المرشد إلى فَهْم أشعار العرب وما أورده الأستاذ أحمد محمد شاموق في «معجم الشخصيات المعاصرة»، وما أورده الأستاذ يحيي محمد عبدالقادر في كتاب «شخصيات من السودان»، وكان ميسوراً لبشارة أن يضع سيرة بما يعرف بالاسْتعانة بهذه المصادر، ولكنه آثر ألا تتجاوز ما وقف عليه وأن تكون سيرته توثيقاً لهذا الذي وقف عليه ليعرف القارئ الأمر من وجهات نظر مختلفة.

ثم انتقل إلى باب الذكريات، وهنا أتى بطرف من علاقته بالبروفيسور وبيّن أين يضعه إنساناً، وأستاذاً، وأديباً، وعالماً. وهاهنا تقويمه العام للأستاذ، وما ياتي من بعد، نزول إلى الفروع والمتخصص من الأمور.

ثم يلجأ إلى التوثيق مرة أخرى لينقل إِليك رأي الشعراء فيه، فيورد ثلاثاً من القصائد في مدحه، الأولى لمبارك المغربي، والثانية لمحمد المهدي مجذوب، والثالثة لمختار محمد مختار.

وفي الفصول التالية تناول بعض أعماله ووقفات علمية وأدبية متفرقة، إذ تناول الجزء الأول من «المرشد إلى فهم أشعار العرب» مُعرِّفاً ومقيِّماً، وقد أكبرنا فيه قراءته لهذا الكتاب الذي لا يصبر عليه إلا المتخصصون المدققون بهذا القدر من النظر وعرض أفكاره ورؤاه وبيان قيمته العلمية.

وهو ينظر في تناول عبدالله للشاعر الإنجليزي «ت. س. إليوت» وَقَوْلُهْ إِنَّهُ استوحى كثيراً من أخيلته ورؤاه من الأدب العربي وتتبعه لمصدر «إليوت» الذي هداه إلى الأدب العربي، وقد عاونه في ذلك تمكنه من الأدب العربي والأدب الإنجليزي معاً.

كذلك استعرض قول عبدالله الطيب في الجرجاني وابن الأثير والفارابي والجاحظ والمعري وإسحاق الموصلي وَامْرِئِ القيْس والتجاني يوسف بشير والطيب السراج وشكسبير ...إلخ.

ثم يلتفت إلي قضية أدبية سودانية عرضها عبدالله بغيرما يفعل الآخرون وهي قضية تاجوج والمحلق، وهنا يبرز بشارة فكرة ضرار صالح ضرار الذي أتى إلى هذه القضية من واقع تخصصه في تاريخ شرق السودان، ثم يبرز فكرة مبارك أزرق ثم يأتي إلى تصور عبدالله للقضية.

ومن القضايا المهمة التي وقف عندها بشارة معالجة عبدالله الطيب لمشكلة الأداء في اللغة العربية.

وقد تعرض إلى شعر عبدالله بقدرٍ كبير من إمعان النظر والتأمل، دلَّ على حسن تذوقه وانتهى منها إلى بيان القيمة الإبداعية.

ثم هو يقف عند شرحه للقرآن مبيناً أسلوبه في الشرح، وطريقته في تقريب المعنى إلى المستمعين وأغلبهم عامة الناس، وكيف أنه فسَّر بالفصحى والعامية .. وقد اختار نموذجاً للتفسير تفسيره لسورتين قصيرتين هما سورة التين وسورة القدر.

وقد تعرض إلى جانب مهم من حياة عبدالله الطيب وهو صراعاته مع الخصوم والذين يتناولهم عبدالله كثيراً في أدبياته ويلسعهم بلفتاته الذكية.

وهذا الكتاب - من بعد - عرضٌ لحياة عبدالله الطيب وموقعه في مجتمع السودان، على كثرة محبيه وخصومه في مجتمعه الأدبي والعلمي الخاص وشعبيته الواسعة في مجتمع السودان العريض التي لم يبلغها أديب في تاريخ السودان، وسياحة حرة في أدبيات عبدالله الواسعة من أديب قرأ واستوعب، وتذوق واستمتع، وأراد أن ينقل محصوله إلى القارئ إفادةً له وإمتاعاً، وتنويهاً بقدر صاحبه وطول باعه، وباقة حب ووفاء وتقدير.

وقد وفق فيما أراد بحسن الاختيار للقضايا، والموقف والرؤى والنصوص، والعرض الجيد، والاختصار المفيد للمادة الأدبية والعلمية، وقرَّ إلينا بهذا الجهد الذي كرَّسه قراءةً ونظراً وكتابةً شخصية عبدالله الطيب وأدبياته فجزاه الله خيراً وبارك مسعاه.

مدخل إلى الكتاب

بقلم الأستاذ/ أحمد عبدالله المغربي

كاتبُ هذه الكلمة الأستاذ الجليل / أحمد عبدالله المغربي الذي عاصر البروفيسور عبدالله الطيب قرابة سبعين عاماً منذ أن كانا طالبين يافعين في المرحلة الدراسية الأولية بالدامر .. وقد تواشجت أواصر الود والزمالة بينهما منذ ذلك الحين، وإلى أن أصبح الأستاذ «المغربي» عضواً بمجمع اللغة العربية بالخرطوم، الذي أسسه وتولى رئاسته، الأديب العالم عبدالله الطيب .. ولهذا، اتصلت بالأستاذ أحمد المغربي الذي كتب للقراء الكلمة التالية ...

●● اطَّلَعْتُ – شاكراً – على مخطوطةٍ بعنوان (ذكريات ووقفات مع العلامة عبدالله الطيب) بقلم الأديب السوداني المعروف مصطفى عوض الله بشارة.

والأديب مصطفى بشارة مؤلفٌ مثابرٌ أضافَ إلى المكتبة السودانية العديد من المؤلفات الأدبية «المطبوعة» التي يتداولها عشاق الأدب العربي .. والذي يميز هذا الإنتاج للأستاذ مصطفى بشارة ما نجده من تنوع في مؤلفاته؛ حيث نجد فيها الرواية والقصة والنقد الأدبي، والشعر .. وهو بهذه المخطوطة التي أطلعني عليها لا يضيف إلى مؤلفاته السابقة مجرد إضافة عددية، ولكنه يضيف إضافةً نوعية، إذ إِنَّهُ يطرق بها باب السيرة، وهو بابٌ لا يكادُ يكون له وجود في المكتبة السودانية إلا ما تتضمنه بعض كتب التأريخ.

وقد تمَّ التعارف بين الأديب مصطفى بشارة والعالم الأديب البروفيسور عبدالله الطيب في أواخر خمسينيات القرن العشرين، في المنتدى الأدبي الذي كان يقيمه الشاعر الراحل الأستاذ منير صالح عبدالقادر بالخرطوم، وفي هذا المنتدى الأدبي التقى الأديب الأستاذ مصطفى بشارة ببعض أدبائنا المشاهير من أمثال الراحل الغالي محمد المهدي المجذوب، والراحل الغالي مبارك المغربي، والشاعر الناقد محمد محمد علي والأديب الشاعر جعفر حامد البشير وغيرهم.

وتقديراً لعلاقة الود والإخاء التي جمعت بين الأديبين الأستاذين عبدالله الطيب

ومصطفى بشارة، حرص البروفيسور عبدالله الطيب على إهداء نسخ من مؤلفاته المطبوعة ممهورة بإمضائه للأستاذ مصطفى بشارة، ومن عمق هذه الصلات الفكرية والودية، صار الأديب مصطفى بشارة مؤهلاً لتناول سيرة الأديب العالم الدكتور عبدالله الطيب، لا في مقالةٍ صحفية، ولا في محاضرةٍ يقدمها لمجموعةٍ من الناس، ولا في قصيدةٍ للإشادة بعبدالله الطيب ومدحه، ولكن في سفرٍ كامل كالمخطوطة التي اطلعت عليها بعنوان «ذكريات ووقفات مع العلامة عبدالله الطيب».

وهذا الكتاب القيم للأديب الأستاذ مصطفى عوض الله بشارة، أعتبره بشارة خيرٍ في مجال الوفاء والعرفان بالجميل .. فمجرد تناول الأستاذ مصطفى لسيرة «عبدالله الطيب» في كتاب، دليلٌ قوي جداً على الوفاء والعرفان بالجميل.

وقد تناول العديدون من معارف الأستاذ الجليل عبدالله الطيب سيرته في بعض المناسبات، وعَبْرَ بعض وسائل الإعلام، وكان كلُ ذلك موجزاً، ولكنه جمع بين الإفادة والإجادة .. والملاحظ أن معظم من تناول سيرة «عبدالله الطيب» هم من الذين كانوا طلبةً ينهلون العلم على يديه، غير أن الأخ الأستاذ الدكتور صلاح الدين المليك تحدث عنه من منطلق الزمالة في رحاب الجامعة والتدريس.

وقد سألني البعض : «لماذا لم تتحدث مع من تحدثوا عبر التلفزيون رغم علاقتك القوية بالبروفيسور عبدالله الطيب؟»، فكان ردي أن العاملين بالتلفزيون ذهبوا إلى أولئك الإخوة في منازلهم، ولم يشرفوني بزيارة منزلي، ربما لأنهم يجهلون صلتي بالأخ عبدالله الطيب، رغم أنه في بعض المناسبات ذكر تلك الصلة! وغايةُ الأمر أن من تحدثوا عن الأديب الكبير عبدالله الطيب، تحدثوا عن معرفتهم بمكانته أدبياً وعلمياً.

أما أنا فأعرفه منذ الطفولة، وقد بدأت صلتي به منذ أواخر العام التاسع والعشرين من القرن العشرين عندما نُقِل الشيخ الطيب والد «عبدالله الطيب» من العمل مُدرساً بمدرسة «كُتَّاب» كسلا، إلى العمل بمدرسة الدامر.

وفي تلك الأيام نفسها، تم نقل والدي من مكتب الهندسة المساحية بمروي إلى مكتب المساحة بالدامر .. وكانت قد بقيت لنا سنتان لتكملة تلك المرحلة التعليمية لكي

ننتقل إلى ما بعدها .. ومن حسن الصدف أن أستاذي الشيخ الطيب والد «الأخ عبدالله» سكن في منزلٍ بالقرب من منزلنا بحيث لا يستغرق السير بينهما أكثر من دقيقةٍ ونصف مما نشأ عنه تقارب وتزاورٌ بين الأسرتين، فكنا نتصاحب - عبدالله وأنا - كل يومٍ في العودة من المدرسة إلى منزلينا.

وكانت بمنزل شيخنا الطيب حجرة تُسميها أسرته : «أودة شيخ الطيب» التي لا يدخلها إلا ضيوفه وابنه عبدالله، ولكن بفضل صلتي بعبدالله، كنت أدخلها معه، وهي غرفةٌ مليئةٌ بأكداس الكتب التي كان يقتنيها والدهُ، وكانت هذه الكتب مصدراً للثقافة، ودافعاً قوياً لنا للاطِّلاع والمعرفة، وتمثل المنابع الأدبية والفكرية التي نهل من معينها الأديب العالم عبدالله الطيب في نشأته الأولى.

وفي نهاية عام ١٩٣١م .. ذهبنا «عبدالله الطيب وأنا وآخرون قلائل» لنجلس لامتحان دخول للمرحلة الابتدائية، والتي تغير اسمها بعد ذلك بعامٍ واحد إلى «المدرسة الوسطى».

والغريب أننا جلسنا لذلك الامتحان في مدينة بربر، حيث لم يكن بالدامر مدرسة وسطى، بل لم يكن بكل المديرية الشمالية في ذلك الحين، من وادي حلفا حتى حدود مديرية الخرطوم غير مدرستين وسطيين .. إحداهما في بربر، والأخرى مقسومةً نصفين في وادي حلفا نصفٌ والنصف الآخر في عطبرة! وقويت زمالتنا «عبدالله وأنا» حيث كنا نقيم في حجرة سكنيةٍ واحدة في الداخلية، وقد بقينا فيها أربع سنوات، إضافة إلى الحجرة الدراسية بالمدرسة.

وفي إمتحان الدخول للمدرسة الوسطى الذي جاءه آخرون من وادي حلفا ودنقلا ومروي وأبوحمد وعطبرة وشندي.. وفي ذلك الامتحان احْتَلَّ «عبدالله الطيب» المركز الأول، ثم كان في المركز الأول في الامتحان النهائي للعام الدراسي الأول .. وفي عام ١٩٣٣م .. ونحن بالسنة الثانية «الوسطى» فُجعنا بوفاة أستاذنا الشيخ الطيب والد الأخ عبدالله. وكنت أخشى كثيراً أن يؤثر الحزن العميق على «عبدالله الطيب» ولكنه صمد للكارثة رغم طفولته، واحتلَّ المركز الأول في الامتحان الذي انتقلنا به للسنة الثالثة الوسطى .. وفي العام التالي « ١٩٣٤م» فُجِعنا مرة أخرى بوفاة الأخ

الأصغر والوحيد لعبدالله الطيب «حسن الطيب». وكان أخونا حسن الطيب أول طفل أبكيه بالدموع .. ولكن رباطة الجأش والصبر والصمود كانت من الصفات الملازمة لعبدالله الطيب بحيث أنه لم ينزل عن مركزه الأول في أي امتحان .. واكتسبنا كثيراً من المعرفة، والسلوك الاجتماعي بفضل سُكنانا في الداخلية مع زملاء من عدة قبائل.، حتى جاءت نهاية مرحلتنا الوسطى، في آخر عام ١٩٣٥م حيث جاء أستاذان من كلية غردون التذكارية، ومعهما امتحان الدخول للمرحلة الثانوية بتلك الكلية، وكانت المؤسسة التعليمية الثانوية الوحيدة في كل السودان .. وقد جلس لذلك الامتحان آخرون من كل مديريات القطر .. وفي الامتحان اِحْتَلَّ الطالب عبدالله الطيب المركز الأول، وتم قبوله بالمجان في كلية غردون، وتم قبولي أنا بنصف المصروفات، فامتدت زمالتنا أربع سنوات أخرى في الدراسة وفي السكن بداخليات كلية غردون التذكارية، وكان المركز الأول في كل امتحان من سنةٍ إلى سنةٍ حتى نهاية المرحلة الثانوية من نصيب «عبدالله الطيب» وحده!.

وفي العام ١٩٣٧م .. كنا بالسنة الثانية، حين فجعنا بوفاة الخالة عائشة والدة الأخ عبدالله الطيب.

وهكذا توالت الأحزان والأشجان على أخي عبدالله، إذ فقد خلال أربع سنوات فقط ما بين عام ١٩٣٣م وعام ١٩٣٧م، أَقْربَ وأَعزَّ أَهْله الأب والشقيق والأم .. وكان يقول لي في أكثر من مناسبة والدموع تنحدر من عيوننا إنه لم يبق له إلا الصبر والثبات استعداداً لتحمل مسؤولياته الجسام نحو شقيقاته.

وفي آخر عام ١٩٣٩م اِنْتَهيْنَا من المرحلة الدراسية بكلية غردون .. وكانت الحرب العالمية الثانية قد اندلعت منذ بضعة أشهر .. وكنا أول دفعة تجلس في نهاية المرحلة لامتحان شهادة «كامبردج»، فالتحقنا بعد ذلك بما كان يسمى بالمدارس العليا .. وهي نواة جامعة الخرطوم الحالية .. وقد التحقنا «عبدالله وأنا مع آخرين» بقسم اللغة العربية، الذي رغم تسميته هذه، كنا ندرس فيه الأدب الإنجليزي على يد أستاذ إنجليزي متمكن من مادته، هو مستر إرك هارت.

وهكذا لم تنقطع زمالتنا الدراسية حتى تخرجنا لنعمل سوياً بالتدريس بالمدارس الوسطى في ذلك الوقت، لأنه لم تكن ببلادنا مدارس ثانوية نعمل بها!.

وهكذا جمعت بيني وبين الأديب الكبير الدكتور عبدالله الطيب زمالة الطفولة، والصبا، والشباب، ثم زمالة المهنة.

وحين أذكر زمالتي للأخ العزيز عبدالله الطيب، التي امتدت منذ عهد الطفولة في عام ١٩٣٠م إلى يومنا هذا ونحن في مطلع القرن الحادي والعشرين، أجترُّ كل هذه الذكريات فخوراً بها ومفاخراً، ونحن الآن قد تجاوزنا الكهولة، ودخلنا مرحلة الشيخوخة ولا زالت تجمع بيننا عضوية مجمع اللغة العربية بالخرطوم الذي يعمل تحت رئاسة الأستاذ الدكتور عبدالله الطيب.

وأقدم شكري وتقديري للأديب الأستاذ مصطفى عوض الله بشارة على اهْتمامه ووفائه بتأليف وإعداد هذا الكتاب عن الأديب العالم عبدالله الطيب.


عبد الله الطيب



سيرة

البروفيسور / عبدالله الطيب

- ولد بغرب الدامر في ٢٥ رمضان ١٣٣٩هـ الموافق ٢ يونيو ١٩٢١م.
- والداه : الطيب عبدالله الطيب وعائشة جلال الدين الطيب .. وهو ابْن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب.
- تعلم بمدرسة كسلا .. والدامر وبربر وكلية غردون بالخرطوم والمدارس العليا ومعهد التربية ببخت الرضا وجامعة لندن بكلية التربية ومعهد الدراسات الشرقية والأفريقية.
- نال درجة الدكتوراة من جامعة لندن SOAS عام ١٩٥٠م.
- عمل بالتدريس بأمدرمان الأهلية وكلية غردون وبخت الرضا وكلية الخرطوم الجامعية وجامعة الخرطوم وغيرها.
- تولى عمادة كلية الآداب بجامعة الخرطوم ١٩٦١م-١٩٧٤م.
- كان مديراً لجامعة الخرطوم في ١٩٧٤م-١٩٧٥م.
- أول مدير لجامعة جوبا ١٩٧٥م-١٩٧٦م.
- أسس كلية «بايرو» بكانو بنيجريا وهي الآن جامعة مكتملة.
- عمل أستاذاً للعربية بالمغرب في كلية الآداب بجامعة سيدي محمد بن عبدالله بفاس بالمغرب.
- عين أستاذاً مدى الحياة «بروفيسور أميرتس Professor Emertus بجامعة الخرطوم في عام ١٩٧٩م.
- له عدة مؤلفات منها «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها»، «الأحاجي السودانية»، «نافذة القطار».
- له عدة دواوين شعرية منها : «أصداء النيل»، «بانات رامه»، «أغاني الأصيل»، «سقط الزند الجديد».
- عضو عامل بمجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ مارس ١٩٦١م.

- أول رئيس لمجمع اللغة العربية بالخرطوم.
- منح الدكتوراة الفخرية من جامعة الخرطوم عام ١٩٨١م ومن جامعة بايرو بكانو بنيجيريا عام ١٩٨٨م ومن جامعة الجزيرة بالسودان عام ١٩٨٩م.
- شارك في عدة مؤتمرات في السودان وخارجه.
- له مساهمات في الصحافة والإذاعة .. والتلفزيون.
- فسَّر القرآن كله من إذاعة أمدرمان مع تلاوة الشيخ صديق أحمد حمدون والشيخ إبراهيم كمال الدين.

(المصدر : كتاب المرشد إلى فهم أشعار العرب» الغلاف الأخير)

- في كتاب «شخصيات من السودان أسرار وراء الرجال» الطبعةالثانية الصادرة عام ١٤٠٧هـ الموافق ١٩٨٧م من تأليف الأستاذ يحي محمد عبدالقادر نطلع على المعلومات التالية من سيرة البروفيسور عبدالله الطيب.
- ولد في ٢ يونيو عام ١٩٢١م بالتميراب غرب الدامر، وتخرج من مدرسة الآداب عام ١٩٤٢م، وعين مدرساً في معهد بخت الرضا ولكنه لم يلبث أن استقال وعمل في المدرسة الأهلية بأمدرمان من عام ١٩٤٣م إلى عام ١٩٤٤م ثم عاد إلى مصلحة المعارف فعمل بمدرسة التجارة عام ١٩٤٤م وبالمدرسة الثانوية بأمدرمان عام ١٩٤٥م وبمعهد بخت الرضا عام ١٩٤٦م.
- وأرسل في سنة ١٩٤٨م في بعثة إلى جامعة لندن حيث حصل على شهادة المعادلة للبكالريوس ثم على الدكتوراة في عام ١٩٥٠م وعمل في لندن أستاذاً للأدب العربي من عام ١٩٥٠م إلى ١٩٥١م ثم تزوج إنجليزية.
- وعاد إلى السودان فعمل مرة أخرى بمعهد التربية ببخت الرضا عام ١٩٥٤م ثم اختير للتدريس في كلية الجامعة.
- والدكتور عبدالله الطيب شاعر يشبه فحول الشعراء الجاهليين لاهتمامه بالغريب النادر من الألفاظ وانسياقه مع أخيلة المتقدمين في وصف الدمن والديار ومراتع الإبل.
- وللدكتور عبدالله الطيب كتاب عن الشعر العربي بعنوان «المرشد إلى فهم أشعار العرب» قرَّظه الدكتور طه حسين في مقدمة طويلة أشاد فيها بنبوغ عبدالله الطيب.

- وفي «معجم الشخصيات السودانية المعاصرة» الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨م الصادر عن بيت الثقافة بالخرطوم أورد محرره الأستاذ أحمد محمد شاموق المعلومات التالية عن الدكتور عبدالله الطيب :-

- بروفيسور .. أديب .. وأستاذ جامعي ولد في مدينة الدامر بشمال السودان عام ١٩٢١م.

- التعليم : دبلوم كلية غردون التذكارية بالخرطوم عام ١٩٤٢م، وبكالريوس جامعة لندن - دكتوراة، الدراسات الشرقية عام ١٩٤٩م.

- العمل : مدرس لغة إنجليزية ببخت الرضا، والتحق بشعبة اللغة العربية بجامعة الخرطوم .. وعمل عميداً لكلية اللغة العربية بجامعة «أحمد وبيلو» بنيجيريا «١٩٦٤م»، ومديراً لجامعة الخرطوم «٧٤-١٩٧٧م» ومديراً لجامعة جوبا .. كما عمل أستاذاً بجامعة الدار البيضاء بالمغرب وله عدد من المؤلفات الأدبية.

إفادات من السيدة جوهرة
(جيرزالده الطيب)

أفادتنا السيدة «جيرزالده = جوهرة» حرم البروفيسور عبدالله الطيب بالمعلومات التالية :-

- تم عقد قرانها على الدكتور عبدالله الطيب في لندن في اليوم الثلاثين من اكتوبر عام ١٩٤٨م.

- جاء «عبدالله الطيب» للدراسة بلندن مع أول دفعة من الدارسين السودانيين بعد الحرب العالمية الثانية.

- طلاب سودانيون كانوا يدرسون في الجامعات البريطانية أثناء دراسة الدكتور عبدالله الطيب بلندن منهم : الدكتور أحمد الطيب أحمد، الأستاذ / جمال محمد أحمد، المهندس كمال الجاك، السيد سر الختم الخليفة، الدكتور مكي شبيكة، إسحاق محمد الخليفة شريف، الفنان التشكيلي بسطاوي بغدادي، الفنان شفيق شوقي، الفنان عبدالرازق عبدالغفار.

● وعن أصدقاء ومحبي أدب البروفيسور عبدالله الطيب وزياراتهم له بالمنزل .. قالت السيدة جوهرة.

- أصدقاؤه وأحبابه كثيرون جداً، فمنهم من يحضر للقائه بالمنزل لاستطلاع وجهة نظره حول مختلف المسائل والقضايا الأدبية والفكرية، ومنهم من يعرض عليه بعض مؤلفاته الأدبية لمعرفة رأيه عنها، ومنهم زملاء من أساتذة الجامعات المختلفة، يناقشون معه القضايا والشؤون العلمية الأكاديمية.

● بما أنك فنانة تشكيلية بارعة، خريجة كلية الفنون بلندن، نرجو أن تحدثينا عن مدى اهتمام البروفيسور عبدالله الطيب بالفنون التشكيلية؟

- أجابت السيدة جوهرة .. في الحقيقة الدكتور عبدالله الطيب يحب الفن التشكيلي .. ويهوى الرسم بالألوان .. وله محاولات جيدة في هذا المجال.

وعن هواياته الخاصة، قالت .. إنه يميل أحياناً للاسْتماع للأغاني الشعبية، ويحب السباحة والنزهة النيلية بالزوارق في أيام الجمع قبل صلاة الجمعة أو في الأمسيات، وكان عضواً بنادي الزوارق بالخرطوم.

وعن علاقة البروفيسور عبدالله الطيب بأسرته الكبيرة والأهل بالدامر .. قالت السيدة جوهره، إنها علاقة متينة جداً وحميمة، وهو وثيق الصلة بهم ولا تنقطع زياراتنا طيلة العام للأهل بالدامر، بالقطار أو بالعربات الخاصة.

وفي معرض ذكريات السيدة جوهرة ومعرفتها بالبروفيسور عبدالله الطيب وزواجها في لندن عام ٩٤٨م قالت.

إنها كانت المبادرة بطلب الزواج منه إعجاباً وتقديراً لذكائه ونبوغه ونبل خصاله.

ذكريات .. مع البروفيسور عبدالله الطيب

غالبية مؤلفات البروفيسور عبدالله الطيب بمكتبتي مُهداة منه وممهورة بإمضائه

منذ أن تعرَّفت عن قرب على الأديب العالم البروفيسور عبدالله الطيب في مستهل الستينيات، ظلَّ يُسبغ على شخصي من كريم سجاياه ومودته أفضالاً بإهدائي غالبية مؤلفاته القيمة المطبوعة ممهورةً بإمضائه ومزدانة بعبارات إهدائِه التي تشِفُ عن مشاعر إخاءٍ وودٍ صادق.

وقد حرصتُ ذات مرة، على اقتناءِ كتابه القيم (المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها) من المكتبات وحصلت عليه مطبوعاً في ثلاثة أجزاء .. وكنت مطمئناً جداً بعد اقتنائه، بأنه يقع في ثلاثة أجزاء فقط!

وكانت المفاجأة غير المتوقعة أن زارني بمكتبي الأستاذ مبارك أزرق، وهو كاتبٌ مسرحي له مسرحيتان مطبوعتان «لغز تاجوج» و «النمل»، ولم أكن على علمٍ بأنه من أقرباء أديبنا الكبير عبدالله الطيب .. وأثناء حديثي معه علم أنني اقتنيت ثلاثة أجزاء من كتاب «المرشد»، وعلق على هذا الأمر بقوله إن كتاب «المرشد» يقع في أربعة أجزاء وأنه عند زيارته المقبلة للدكتور عبدالله الطيب سيبلغه بأنني اقتنيت ثلاثة أجزاء فقط من «المرشد» من المكتبات وأن الجزء الرابع غير موجود بمكتبتي.

وبرغم حرصي الشديد على عدم إبلاغ البروفيسور عبدالله الطيب بذلك حتى لا أكلفه إهداء نسخةٍ منه لي، إلا أن الأخ الكريم الأستاذ مبارك أزرق اِتَّصَلَ به وأخبره بأمر الكتاب الذي اقْتَنَيْتُ منه ثلاثة أجزاء فقط!

وما أن علم الأديب الكبير عبدالله الطيب بذلك، حتى قدَّم للأستاذ مبارك أزرق الجزء الرابع من كتاب «المرشد» في قسمين ضخمين وأوصاه بتسليمه لي في أقرب وقت ممكن حتى تكتمل لديَّ كل أجزاء سفره القيم.

وقد أحضر لي – مشكوراً – الأخ الفاضل الأستاذ مبارك أزرق الجزء الرابع من «المرشد» ولسان حالي يلهج بعاطر الثناء، وصادق الود والتقدير لكليهما الأديب الكبير عبدالله الطيب والكاتب المسرحي مبارك أزرق.

ومن ذكرياتي مع الأديب العلامة البروفيسور عبدالله الطيب تلك الجلسة الطيبة بداره ببري .. وقد تجاذبنا أطراف الحديث حول قضايا أدبية شتى وموضوعات ثقافية عامة بعد عودته إلى البلاد من «المغرب» الشقيق في سبتمبر عام ١٩٨٦م، وقد تطرقنا في الحديث إلى الظواهر والأشياء التي لفتت نظره واسترعت اهتمامه في المغرب، لا سيما وقد أمضى فيه فترةً غير وجيزة، عمل خلالها محاضراً وعميداً لكلية الآداب بإحدى الجامعات المغربية العريقة.

ومن ملاحظاته الطريفة عن عادات وتقاليد أشِقَّائنا «المغاربة» في أحوالهم المعيشية اليومية، قال الدكتور عبدالله الطيب .. إنهم لا يأكلون «الترمس» ولا يعرفون كيفية إعداده وتجهيزه، ويعجبون كثيراً من اهتمامنا به كغذاء مفيد لتقوية العظام في حالات «الكسر» بالإضافة إلى «التمر» وهو محبوبٌ ومفضَّلٌ لدينا من كثير من الفواكه عندهم.

وبالرغم من أن «الترمس» في المغرب أكبر حجماً من مثيله الموجود لدينا في السودان، إلا أن أهل المغرب يقدمونه علفاً للحيوانات، تماماً كالفول المصري الذي يجهلونه أيضاً كغذاءٍ للبشر ولا يعرفون عنه أي قيمة غذائية تذكر سوى أنه يصلح فقط كوجبةٍ غذائية شهية للحيوانات أيضاً.

وإلى جانب هذه «المفارقات» الطريفة التي اتصلت بعادات أهل المغرب بتفضيلهم لبعض الأطعمة عن الأخرى، والتي يقول عنها الأديب الكبير عبدالله الطيب إنها نتاج عادات توارثها المغاربة عن أسلافهم عبر الأزمنة المختلفة، وأدت إلى كراهيتهم ونفورهم من بعض أنواع الثمار الشهية، والأطعمة المألوفة في الوطن العربي، إلا أنهم - برغم ذلك - شديدو العناية والرعاية والاهتمام بمحاصيلهم الزراعية المختلفة التي تنتجها أرضهم الطيبة المعطاءة.

وهذا شأن معظم دول العالم التي تحرص على تنمية ثرواتها الطبيعية والزراعية المهمة.

وفي هذا الصدد، أيد البروفيسور عبدالله الطيب وجهة نظري حول أهمية

الحفاظ على ثروات بلادنا الزراعية بمختلف أنواعها ومذاقها وفوائدها .. وقد افتقدنا حالياً الكثير من الأشجار «الصحراوية» والثمار التي كنا نجدها أمامنا في الأعوام الماضية، كالقضيم والزونية، والبسكيت، والقشطة، والحُمبك .. ولا أظن الأجيال الجديدة سمعت بها من قبل!.

وربما أهملنا هذه الثمار لعدم معرفتنا بفوائدها ومنافعها التي ربما يجد فيها العلم الحديث بعد التحليل والاختبار فوائد صحية وغذائية جمة .. ونخشى أن تكون ثرواتنا القومية في هذا المجال قد تعرضت للضياع والانقراض بمرور الزمن.

وفي ختام الجلسة التي دار الحديث فيها عذباً طلياً حول موضوعات أدبية وثقافية وزراعية قال البروفيسور عبدالله الطيب ولذا لا عذر لنا أو ...«للمغاربة» إذا جهلنا معاً فوائد بعض الأطعمة والثِّمار التي هي بالتأكيد من خيرات أرضنا الطيبة المعطاءة.

لقد قصدتُ أن أعرض على القراء هذا الجزء من الذكريات الدالة على شمولية فكر البروفيسور عبدالله الطيب وعلاقته الودية بأصدقائه.

وحدثني الأديب العالم البروفيسور عبدالله الطيب عن اهتمامه البالغ باللغتين العربية والإنجليزية منذ سنوات الدراسة المبكرة. وقد استرعى تفوقه في اللغة الإنجليزية نظر مفتش التعليم الإنجليزي أثناء مراقبته للامتحانات بمدرسة بربر الابتدائية في منتصف ثلاثينيات القرن العشرين، مما جعله يوصي بقبوله للدراسة مجاناً بكلية غردون، لا سيما بعد أن أحرز المركز الأول بين جميع الطلاب الممتحنين في ذلك الحين .. وقال إِنَّهُ منذ نشأته الأولى كان يعجب بشخصية الشيخ الجليل الأستاذ مجذوب جلال الدين.





قصائد حب وتقدير للبروفيسور عبدالله الطيب

- مبارك المغربي : رفع شأن البلاد إلى قمة الشرف الناصع
- مختار محمد مختار : إمام الضاد أعلى راية المجد
- محمد المهدي مجذوب : شبَّ في مهده محباً للقرآن والشعر

هذا السودان، وطنٌ عزيز يزخرُ عبر تاريخه الزاهر المجيد - بشوامخ الرجال الأفذاذ في مختلف مجالات الحياة.

ومن أفذاذ مبدعينا ومفكرينا من الأدباء والشعراء والعلماء الذين طبقَّت شهرتهم الآفاق، وضمَّخ أريج فكرهم وإبداعهم شتى أنحاء الوطن العربي والأفريقي، الأديب العالم النحرير البروفيسور عبدالله الطيب .. وهو - في الحقيقة - كنزٌ ثمين من كنوز العلم والمعرفة والفكر والثقافة والإبداع، ليس على نطاق السودان فحسب، بل على نطاق العالم أجمع في وقتنا هذا! وقد ظل عالمنا الجليل أمداً طويلاً كثروات أرضنا الطيبة المخبوءة، لا ينال حظاً مقدَّراً يليق به من اهتمام العالم من حولنا، وإلا .. لنال هذا الأديب العالم منذ وقتٍ بعيد أعظم الجوائز العالمية كجائزة «نوبل» وغيرها.

وقد سبق لي الحديث عن هذه الجائزة، وعمن يستحقها من الأدباء العرب، في حوارٍ طويل مستفيض أجرته معي مجلة «آخر ساعة» المصرية في عددها الصادر بتاريخ ٢٤ يونيو عام ١٩٨٧م .. وكان ذلك قبل فوز الأديب الروائي نجيب محفوظ بجائزة «نوبل» وقبل وفاة الكاتب الكبير توفيق الحكيم، حيث قلت في ذلك الحوار «هؤلاء العمالقة أرشحهم لجائزة نوبل توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وعبدالله الطيب».

ولذا لم يكن بمستغربٍ فوز الأديب العالم عبدالله الطيب بجائزة الملك فيصل العالمية للآداب بل كان متوقعاً فوزه بهذه الجائزة منذ إنشائها قبل بضعة أعوامٍ خلت.

وعند إعلان فوز الأديب المفكر عبدالله الطيب بجائزة الملك فيصل العالمية، عمَّت الأوساط الأدبية والثقافية في السودان وفي شتى أنحاء الوطن العربي مشاعر المسرة والابتهاج لأنَّ الجائزة حقَّاً دليل تقدير وعرفان لجهود مفكرٍ ومبدعٍ قدَّم الكثير لوطنه

ولأمته العربية الإسلامية بعطائه الوفير الرفيع في مجال الآداب والإبداع والعلوم والدراسات.

والبروفيسور عبدالله الطيب من مواليد قرية «التميراب» غرب مدينة «الدامر» في ٢٥ رمضان سنة ١٣٣٩هـ الموافق الثاني من يونيو عام ١٩٢١م ونال درجة الدكتوراة من جامعة لندن عام ١٩٥٠م ومن مؤلفاته المطبوعة «المرشد إلى فهم أشعار العرب» و«من نافذة القطار»، و«الأحاجي السودانية» ومن دواوينه الشعرية «أصداء النيل»، و«بانات رامة» و«أغاني الأصيل» وهو رئيس مجمع اللغة العربية بالخرطوم، وعضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ونال الدكتوراة الفخرية من جامعة الخرطوم عام ١٩٨١م، ومن جامعة «بايرو» بكانو بنيجيريا عام ١٩٨٨م، ومن جامعة الجزيرة عام ١٩٨٩م.

وللأديب البروفيسور عبدالله الطيب صلاتٌ فكرية وودية حميمة بنخبةٍ مرموقة من الأدباء والشعراء في السودان وخارجه.

وقد التقيت به لأول مرة في مستهل الستينيات بالمنتدى الأدبي الذي كان يقيمه يومياً، بإجزخانة العاصمة المثلثة بالخرطوم، الشاعر الراحل الأستاذ منير صالح عبدالقادر وكان يؤم المنتدى عدد كبير من الأدباء والشعراء. ومنذ ذلك الحين توشجت بيننا أطيب الصلات الفكرية والودية.

وقد كتب البروفيسور عبدالله الطيب بأسلوبه السلس الجزل مقدمة كتابي «القصة العربية من منظور إسلامي».

وفي قصيدة رائعة للشاعر المبدع الأستاذ مبارك المغربي بعنوان «العمر النافع» بديوانه «عاشق النيل» نجد إشارات عديدة لجهود البروفيسور عبدالله الطيب الأدبية والفكرية قائلاً ...

شَرَحْتَ التُراثَ تُراثَ الجدودِ
فعـدنا إلى أمسنا الرائع
وفسَّرتَ آيَ الكتابِ الكريم
بأسلوبك الساحرِ الطائعِ

وجُبتَ الشعوب تنيرُ الطريق

لكلِ امــرئٍ في الدجى ظالـع

وترفع من شأن هــذي البلاد

إلى قمـــةِ الشـرف الناصـع

وتحفظ للضـــــاد أمجاده

من العـــبثِ السائدِ الفاجع

نذرت شـــبابك للمكرمات

وما زلت كالكـوكب الساطع

ومن يا ترى يتحدى السماء

ويرقى إلى أوجـــها السابع؟

وفي تحيـةٍ شعرية بعنوان «عبدالله الطيب في مجمع اللغة العـربية» من نظم الشاعر الكبير محمد المهدي مجذوب بديوانه «منابر» يقول الشاعر:

الألى كرموك يحدون بالغـــيم إلى نيلك الروي الوهـــوبِ

شبَّ في مهده يُحَصِّنُهُ القرآن والشـــعر في النبي الحبيبِ

تتحوَّى بِنَا البلاد، جلونا الدين سيفاً مكشـــفاً للكــــروبِ

ما طلبنا في خدمة العلم أجراً غير أجرِ الفريضة المكتـــوبِ

وبقينا على مآثر أشـــياخٍ كبارٍ عـــلى كبار الخطـــوبِ

وشرعنا أقلامنا تعرض الجوهر من مجدنا العتيق الخـصيبِ

لك ودي كما علمت فما غيَّرت مهدي ولا خضبت مشـــــيبي

وزهدنا على الغني كم رأينا الشمس تسعى بصبحها للغروبِ

ورأينا المعروف حـــقّاً نؤديه حفاظاً على زكاة القـــلوبِ

يا رعى الله مصر من صنعها النيل وما شاء من خلود خصيبِ

أحمد الله شــــــاكراً أثر النعمة يزكو على يديها نصيبي

لك ودي كما علمت وشكـــــري وولائي في مشرقٍ ومغيبِ

وقد أنشد الشاعر الأستاذ مختار محمد مختار قصيدة بعنوان «إمام الضاد» في حفل التكريم الذي أقيم احتفاءً بعودة البروفيسور عبدالله الطيب من نيجيريا بعد انتهائه من تأسيس جامعة «بايرو» بكنو، وجاء في قصيدة الشاعر مختار محمد مختار قوله :

إمام الضـــاد والعلم الشرود
فدىً لك كل ذي ضغنٍ حسودِ
يقلب في ســـواد الليل عيناً
لعودِك لم تذق طعم الهجودِ
يـــلوذ إذا رآك بكـــل أوبٍ
لياذ الطـــير من بازٍ صيودِ
ذيادك عن حِيَاضِ الضَّادِ أسرى
اليك عقـــارب الخصم اللدودِ
أعـــبدالله بينك جـــنح ليلٍ
وعودك غرة الصـــبح الجديدِ
أيا علماً أضاء لنا الدياجـــي
وأحيا دارس العـــلم الشرودِ
أعزَّ لســـان أحمد والمثـــاني
وأعلـــى راية المجـــد التليدِ

صور الفائزين بجوائز الملك فيصل العالمية في العلوم والآداب والدراسات الإنسانية لعام ٢٠٠٠م

وفاز البروفيسور عبدالله الطيب والدكتور عزالدين اسماعيل بجائزة الملك فيصل العالمية للاداب



د . محمد مهر علي — د. عبد الله الطيب — د. عز الدين اسماعيل

د. سنشياجين — د. آدورد أوزيورن — د.جون كريغ

فوز البروفيسور عبدالله الطيب بجائزة الملك فيصل العالمية للآداب

البروفيسور عبدالله الطيب ألقى محاضرة
على شرف الاحتفال بتوزيع جوائز الملك فيصل

أوردت مجلة الفيصل في عددها الصادر بتاريخ ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق يونيو/يوليو ٢٠٠٠ تفاصيل حفل افْتتاح مشروع مجمع الفيصلية، المتعدد الأغراض، وتوزيع جوائز الملك فيصل العالمية .. وتحدث في مستهل الحفل الأمير بندر بن سعود بن خالد الأمين العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، فأبدى سعادته بتشريف صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز للحفل، وقدم شرحاً تفصيلياً للمشروع منذ أن كان حلماً فأوضح أن التخطيط للمشروع بدأ منذ منتصف الثمانينيات إذ تعاقدت المؤسسة مع ثلاثة من كبريات الشركات لإجراء دراساتٍ اقتصادية للمشروع وقام بتصميم المبنى كلٌ من مجموعة فوستر وشركاه وشركة بيرو هابل ونفذَّت المشروع مجموعة ابن لادن السعودية.

وعقب كلمة الأمين العام للمؤسسة افْتتح الأمير سلطان بن عبدالعزيز المشروع، لتنطلق بعد ذلك الألعاب النارية والعرض الضوئي والعرض بالليزر ثم توجه سموه إلى قاعة الاِحْتفال لتكريم الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لسنة ١٤٢٠هـ.

وبدأ حفل توزيع الجوائز بكلمة للأمير خالد الفيصل الذي قال «إنَّ للمتحدث في مثل هذه المناسبة كلمة أمَّا أنا فلديَّ هذا المساء ثلاث كلمات الشكر والتهنئة والدعاء فأما الشكر فلكل من دعا ولبى وحضر، وأما التهنئة فلكل من ساهم وشارك وفاز، وأما الدعاء فلمن تحمل اسمه هذه الجائزة ولكم كل عام، التهنئة والدعاء والشكر».

وتم بعد ذلك تسليم الفائزين جوائزهم وقد اِستلم الأستاذ الدكتور عبدالله الطيب والأستاذ الدكتور عزالدين إسماعيل جائزة الأدب العربي التي منحت لهما وموضوعها «الدراسات التي تناولت النقد الأدبي القديم عند العرب في تأريخه أو كتبه أو رجاله أو قضاياه.

وفي يوم ١٤ صفر ١٤٢١هـ قدَّم الدكتور أحمد بن محمد الضبيب عضو مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية بكلمةٍ معبرة موجزة الأديب العالم الدكتور عبدالله الطيب في محاضرة بعنوان «من تجاربي في الأدب والتأليف» وقد نالت المحاضرة إعجاب وتقدير كبار المفكرين والعلماء والمثقفين.

اعتلال صحة البروفيسور عبدالله الطيب في ٢/٦/٢٠٠٠م

لقد مكث البروفيسور عبدالله الطيب برفقة عقيلته السيدة «جوهرة = جيرزالده» بضعة أيَّام في المملكة العربية السعودية بعد تكريمه واستلامه جائزة الملك فيصل العالمية للآداب، وألقى محاضرةً بعنوان «من تجاربي في الأدب والتأليف» في يوم ١٤ صفر ١٤٢١هـ الموافق ١٨ مايو ٢٠٠٠م، ثم عاد الأديب الكبير وعقيلته إلى السودان، وأمضيا فيه أُسبوعاً، وقرَّرا السفر إلى إِنجلترا لقضاء فترة راحةٍ واستجمام، فوصلا مدينة لندن في يوم ٢٩/٥/٢٠٠٠م.

وفي مدينة لندن بعد أن استقرَّ الزوجان في شقتهما هانئين سعيدين تبدَّدت سعادتهما فجأة ولم تدم طويلاً، إذ أحسَّ الأديب الفذ عبدالله الطيب في منتصف ليلةٍ مدْلهمَّةٍ كئيبة بآلامٍ مبرحةٍ مريرة تجتاح بدنه وبصداعٍ حاد وبخدرٍ مباغت يسري في أوصاله ويصيبه بالشَّلل، فأيقظ عقيلته «جوهرة» من نومها، وأدركت ما أصاب زوجها من أعراض مرضٍ خطير، فأسرعت إلى الهاتف تستدعي سيارة إسعاف، لإنقاذ زوجها من براثن الداء الوبيل بالعناية الطبية والعلاج الناجع الشافي .. وفي مستشفى «لويشام» الجامعي Lewisham University Hospital تم اجراء التحاليل والفحوصات اللازمة التي أثبتت حدوث نزيفٍ حاد في المخ .. وكان ذلك الحدث الأليم في اليوم الثامن من شهر يونيو ٢٠٠٠م «حسب إفادة السيدة جوهرة جيرزالده» وقد توقف النزيف - بحمد الله تعالى - بعد ٢٤ ساعة من حدوثه ولكنَّ آثاره الوبيلة الضارة ظلت ملازمة للدكتور عبدالله الطيب وألزمته فراش المرض لمدة ١٥ يوماً بمستشفى «لويشام» الجامعي في قسم «العناية المكثفة».

وعندما علم أهله وأحبابه في السودان بمرضه، وما يعانيه من آلامٍ مبرحة في المستشفى جثمت أثقالٌ من الهموم والأشجان على قلوبهم، وتضرَّعوا للمولى عزَّ وجل بصادق الدعاء والأمنيات بعاجل الشفاء للأديب الكبير عبدالله الطيب.

وأثناء فترة العلاج بإنجلترا استقبلت أسرة السفارة السودانية بلندن بقيادة السفير العديد من الرسائل والاتِّصالات الهاتفية مستفسرة عن صحة أديبنا الكبير للاطمئنان عليه.

ومـا أن علم رجل الأعمـال الكبيـر الأسـتـاذ صـلاح إدريس بمرض البـروفـيـسور عـبدالله الطـيب حتى وَجَّـهَ بضـرورة نقله إلى مـسـتـشفى خـاص بلندن اُشـتُـهِرَ بكفاءة الأخصـائيين من أطبَّائه وحسن عنـايتهم بالمرضى وهو مستـشفى كـروموبل Cromell Hospital وقد تلقى البروفيسور عبدالله الطيب علاجاً مكثَّفاً بمستوى عالٍ، على نفقة رجل الأعمال الأستاذ صلاح أحمد إدريس جزاه الله خـيراً عميماً وقد أشرف على علاجه في هذا المستشفى، الطـبـيب السوداني الماهر الدكتور أيوب بيه، ثمَّ تقرَّر فـيـما بعد عودة البروفيسور عبدالله الطيب إلى الوطن لمواصلة علاجه بمستشفى الشرطة «ساهرون» ببري بإشراف كبار الأطباء الأخصائيين وقد شرع الأطباء في مستشفى «ساهرون» في عـلاجـه بـعـنـايةٍ تامـة بـعـد دخـوله المسـتـشـفى بغـرفـة «العناية المكثَّـفـة» في يوم ٣٠/٨/٢٠٠٠م وقد أصاب النزيف الحـاد بالمخ الأديب الكبـيـر بعجـزٍ في النطق وعدم قدرة على الحركة.

وقد رحب الأدباء والكُتَّاب والمبدعون بعودة الأديب العـالم البروفيـسور عبدالله الطيب إلى الوطن، وكنا نود عودتـه سليـماً مـعـافى لنحـتـفل مـعه بين أهلـه وعشيـرته بمناسبة فوزه بجائزة الملك فيصل العالمية للآداب ولكن هكذا شاءت الأقدار.

وفي صـحـيفة «الأيـام» العدد رقم «٦٨٦٨» الصادر بتـاريخ السبت ٣٠ سـبتمبر ٢٠٠٠م كتب الأستاذ فيصل أحمد عـباس مـوضوعـاً بعنوان «مرحباً بـعودة الدكتور عبدالله الطيب» قال فيه «عاد مؤخراً إلى البلاد منارة العلم والأدب فريد عصره وزمانه الدكـتـور عـبـدالله الطيب من لندن بـعـد وعكةٍ ألمت به .. فـمرحـبـاً به ومـرحـبـاً بـعـودته الميمونة وأهلاً وسهلاً بالدكتور بين أهله وأرضه ووطنه ومحبيه وطلاَّبه ولا أعرف كيف أبدأ؟ ومن أيـن أبدأ بمآثر هذا الـرجل العظيـم عظم زمـانه؟ ولا أدري كـيف أسـتـطيع أن أحصي علم هذا الرجل ولا كـتاباته التي أفاضت على العلم والعلوم في زمـانه، منظومة علمـية متـفردة، جـمعت بين فنون العلـم والأدب والشعر والإبداع التصويـري من خلال السـرد الإخبـاري في سيـر الـغـابـرين، الذين تركوا للإنسـانيـة أدبـاً جمَّـاً، وعلماً فيَّاضاً، وحكماً بليغـة، وأشعـاراً رصينـة، أثرت حـركة المنظومة العلمية والأدبيـة وألقت بظلالها على نتـاج حـركة العلوم والآداب بـعداً إضـافيـاً عـبر تلك الأزمنة التي عـاشـهـا الإنسان بفطرة أكثر نقاءً وبفكرة أكثر صفاءً فجاء عبيرها فوَّاحاً رغم بعد الزمان.

والدكتور عبدالله الطيب منارة علمية غنية عن التعريف، أضاءت بعلمها مشارق الأرض ومغاربها .. فقد عرف الناس هذا العالم الجليل من خلال صوته الذي يصدح بشتى أنواع العلوم والأدب في محاضراته الرصينة ذات الاسلوب المتفرد والمتميز التي يلقيها في ساحات العلم ومدارج الكليات والجامعات التي تخرجت فيها الآلاف من الطلاب والعلماء والمفكرين الّذين نهلوا من علم هذا العالم.

وقد جاء الدكتور عبدالله الطيب في زمانٍ بعد فيه الناس عن الآداب ومكنونات اللغة ودواخلها الخفية وأعماقها الزاخرة بالكنوز والدرر وهي الأعماق التي غاص فيها عالمنا بفكره وحبه للعلم، وأخرج لنا كل هذه الدرر في الأدب في زمنٍ طغت فيه العلوم المادية التجريبية على العلوم الأدبية والفكرية فأوقد إحساسات الناس بالأدب العربي.

وقد عرف الناس الدكتور عبدالله الطيب كذلك من خلال تفسيره القيم للقرآن الكريم عبر إذاعة أمدرمان العريقة .. ذلك التفسير المنير الذي أعطى كل مستويات المجتمع حقها من الفهم والمعرفة والإدراك لبساطة الأُسلوب وسلاسة المضمون التي من شأنها ترسيخ المعاني والمفاهيم الدفاقة وتعميقها في عقل السامع وقلبه.

وقد جمع الدكتور عبدالله الطيب كل فنون العلم وإبداعات الشعر والأدب إذ كتب وتحدث بالعامية والفصحي ومزج بينهما في تركيبةٍ لغويةٍ متفردة أخاذة تعطيك نكهةً خاصة تشجي النفس والعقل معاً ونجد ذلك واضحاً في كتابه «من نافذة القطار» ذلك الكتاب السردي الرائع الذي يعطيك الشعور وأنت تقرؤه وكأنك بالفعل في رحلة، بالقطار تطل من نافذته أثناء سيره! كما يأتيك الإحساس وأنت تتابع برنامجه «سير وأخبار» وهو يتحدث عن سير وأخبار العرب كأنه واحد منهم كان يعيش بينهم وفي زمانهم وقد يتعدَّى بك الأمر إلى أبعد من ذلك ويخالجك شعورٌ خفيٌّ بأنَّه يعرف عنهم أكثر مما يعرفونه عن أنفسهم!.

ونشرت صحيفة «الدار» في عددها رقم «٢٠٥٢» الصادر بتاريخ السبت أول يوليو ٢٠٠٠م موضوعاً بعنوان «بروفيسور عبدالله الطيب من دامر المجذوب إلى جامعة الخرطوم مشوار كفاح وعلم» جاء فيه :

البروفيسور عبدالله الطيب جاء من دامر المجذوب حيث تشبع بروح العلم الممزوج بنكهة الصوفية وتنقل في سوح العلم معلماً ثم معلماً للمعلمين في بخت الرضا، وهاجر إلى المملكة المتحدة للاستزادة من العلم وهناك التَّقى بالفنانة التشكيلية «جيرزالده» وائتلفا روحاً وفكراً وسارا معاً مشوار الحياة.

وقد فسَّر البروفيسور عبدالله الطيب القرآن الكريم بطريقةٍ سلسة حتى يستوعب معانيه المستمعون من كل الطبقات، وخاصةً العامة. وكتب شعراً رصيناً ضمنه دواوينه العديدة «بانات رامة» و «أصداء النيل» و «أغاني الأصيل» وموسوعته الأدبية «المرشد إلى فهم أشعار العرب» وغيرها من الكتب القيمة، بجانب المحاضرات والندوات والبرامج الإذاعية والتلفزيونية وظلَّ يجد التكريم من الصغير والكبير وقد كرمته كل الحكومات الوطنية وآخرها حكومة الإنقاذ الَّتي كرمته تكريماً يستحقه وتوِّج ذلك بجائزة الملك فيصل العالمية.

وتبوَّأ مقعد عميد كلية الآداب بجامعة الخرطوم .. ولم تقتصر منافع علمه الغزير على السودان فحسب، بل تعدى ذلك إلى دولة المغرب حيث قدَّم فيها محاضراته القيمة بجامعة فاس وكان حديث المغاربة في موسوعَّيته وإلمامه بتاريخ الأدب العربي والإسلامي وغزارة علمه.

وعلى النطاق الأفريقي شهدت جامعات نيجيريا إنجازات عديدة حيث أسس كليات عربية إسلامية في «كانو» وقد نال الإعجاب والتقدير .. وامتدَّت آثار دراساته القيمة إلى المطبوعات الغربية فقد كان بقدر إلمامه باللغة العربية مُلِمًّا باللغة الإنجليزية وله دراسات في الآداب الأوروبية ومآثر عبدالله الطيب البروفيسور لا تحصى ولا تعد وهو طريح فراش المرض ويتابع أخبار صحته كلٌّ السودان بمختلف سحناته وطبقاته.

وهؤلاء الأطباء السودانيون تولوا علاج الدكتور عبدالله الطيب بعد عودته من لندن إلى السودان وهم البروفيسور داؤود مصطفى والبروفيسور ميرغني عبدالعزيز والبروفيسور حسين أبو صالح والبروفيسور عبدالوهاب أرباب الَّذي أجرى له عملية في المخ لسحب الماء الموجود فيه بعد النزيف وظل الأديب الكبير عبدالله الطيب وقتاً طويلاً طريح الفراش.

شهادة أديب معاصر للبروفيسور عبدالله الطيب

معلومات وإفادات أدلى بها الأديب الدكتور أحمد عبدالله سامي عن الأديب العالم البروفيسور عبدالله الطيب تعتبر بمثابة شهادة للتاريخ ذات أهميةٍ قصوى لأنها صادرة من أحد أبناء جيل الأستاذ الجليل عبدالله الطيب .. ولذا حرصت على إثباتها في الكتاب كوثيقةٍ لابد منها تبين لنا أبرز السمات والمميزات الفكرية والشخصية للأديب الكبير عبدالله الطيب.

ففي جريدة «الصحافة» الصادرة بتاريخ الثلاثاء ١٥ جمادي الأولى ١٤٢١هـ الموافق ١٥ أغسطس ٢٠٠٠م أجرى الأستاذ الطاهر حسين حواراً أدبياً مع الدكتور أحمد عبدالله سامي وهو رفيق درب للأديب العلامة البروفيسور عبدالله الطيب وقد أدلى بالإفادات التالية عن الأديب الكبير...

● ما موقع خبر مرض البروفيسور لديكم؟

○ كنت قبل سفري إلى أبي ظبي اتَّصلت بالعالم الأديب عبدالله الطيب عن طريق الهاتف، أُهنئِّه على نيله جائزة الملك فيصل ... وهو جديرٌ بها وبأكثر منها .. وأنا لصيقٌ به منذ أن كنت في السنة الأولى بكلية غردون التذكارية، وكان هو بالسنة الرابعة بالكلية، وسافرتُ وفوجئت بخبرٍ في صحيفة الخليج الظبيانية تذكر فيه أنَّ الأخ عبدالله قد أُصيب بنزيفٍ حاد في المخ وهو بلندن. ووجه رئيس الجمهورية الفريق عمر البشير بمتابعة علاجه فجزاه الله خيراً.

وصرتُ أتابع خبر مرضه وعلمت من نفس الصحيفة أنه نُقِلَ من غرفة الإنعاش إلى غرفة عادية وحمدت الله على ذلك.

● نرجو أن تحدثنا عن عبدالله الطيب التلميذ في مدارس السودان والطالب بالمدارس العليا بالخرطوم وجامعة لندن؟

○ ينتمي عبدالله إلى أسرة المجاذيب وهم المعروفون بصلاحهم وتفوقهم وعلمهم ودرس القرآن بالخلوة أولاً وتنقل مع والده بالمدارس الأولية إلى مقرات وكسلا وكان والده يُدَرِّسُهُ وَيُحَفِّظُهُ الشعر الرصين وهو بالمدرسة الأولية ووالده شاعر جيد.

وَتُوفِّيَ والد عبدالله وهو صغير بالمدرسة الوسطى ببربر .. فحزن عليه حزناً شديداً، ورعاه بعد وفاة والده العالم الجليل الشيخ مجذوب جلال الدين وهو من أوائل مدرسي اللغة العربية بكلية غردون القديمة .. وهو شاعر وفقيه في علوم الشريعة، ومتمكن من اللغة العربية وكان من حظي أن درست عليه اللغة العربية بكلية غردون عندما كنت في السنة الأخيرة في عام ١٩٤٢م. وشيخ مجذوب جلال الدين هو والد الشاعر الفذ محمد المهدي مجذوب.

وبعد وفاة والد عبدالله الطيب تُوفِّيَ أيضاً أخوه الوحيد غرقاً في النيل فاشتد عليه الحزن! وقد رعاه أثناء دراسته بمدرسة بربر الوسطى الأستاذ الهادي أبوبكر وكان «عبدالله» شغوفاً بمطالعة أُمَّهات الكتب منذ صغره وكان يزعجه بكثرة أسئلته عن بعض العبارات حينما يريد الأستاذ الهادي أبوبكر أن يركن إلى بعض الراحة. وقد كان «الهادي» ضابط الداخلية المقيم بمدرسة بربر الوسطى.

● كان البروفيسور عبدالله الطيب مميزاً أحكِ لنا ذلك؟

○ كان عبدالله الطيب أول فرقته بالمدرسة الوسطى ببربر ثم قُبِلَ بالسنة الأولى بكلية غردون وكان طالباً متميزاً في سلوكه ودروسه وكان رياضياً ويجيد السباحة، وبالرغم من أنه عرف بشاعريَّته المتميزة فقد كان أيضاً متميزاً في الرياضيات وعلوم الطبيعة وكان يمكن له أن يقبل بكلية كتشنر الطبية ولكنه كان يميل كثيراً للآداب والشعر فآثر القبول بكلية الآداب.

● اذكر لنا ملامح من جيل عبدالله الطيب؟

○ أَذْكُرْ الدكتور الطيب محمد الحسن أبوبكر ومصطفى الطاهر الَّذي كان أيضاً يحب مطالعة الكتب والشعر وَيَلْتَهِمُهَا الْتِهَامَاً وكان يعجب بشعر أحمد شوقي ويطلب من صديقه وصديقي الأستاذ الشاعر محمد عبدالقادر كرف أن ينشده قصيدة من قصائد أحمد شوقي وقد كان صديقنا الشاعر «كرف» يحاكي إنشاد المرحوم الشيخ الطيب السراج الذي كان يتردد عليه في داره بأبي روف .. هو.. وعبدالله الطيب وبابكر أحمد موسى والهادي أبوبكر والمرحوم إبراهيم يوسف خال الأستاذ الهادي، وكلاهما

من جماعة أبي روف، وأنا .. كنا نعشق مجالس الشيخ الطيب السراج الأدبية التي نستمر فيها من بعد صلاة العشاء إلى موعد ظهور الفجر فلا نشعر بضيق أو ملل.

● احكي لنا عن ذكريات الصبا؟

○ أجاب الدكتور أحمد سامي قائلاً ... عرفت عبدالله الطيب منذ الصبا الباكر حينما كنت بأولى «صلاح الدين» بكلية غردون وهو بالسنة الرابعة وكان من عادة تلاميذ الكلية أن يقيموا لياليَ أدبية أو ترفيهية بداخلياتهم بعد العشاء وكان التلاميذ الَّذين يتبارون في قصائد الشعر عبدالله الطيب والرشيد نايل المحامي والهادي أحمد يوسف وعزيز التوم منصور وسعد الدين إسماعيل فوزي وأحمد عبدالله سامي.

وتستمر الليالي حتى الفجر ... ونشترك في المباريات الشعرية وكتابة الإنشاء باللغة العربية والإنجليزية وكان عبدالله الطيب يحظى بالجوائز في تلك الموضوعات وكان منذ شبابه الباكر يسخرمن نماذج ضعيفة من الأدب تنشر أحياناً على صفحات الجرائد والمجلات وأذكر له بيتاً من قصيدة أنشدها سنة ١٩٣٩م في ليلة من ليالي الداخليات الأدبية قال فيها :

قالوا لنا أَدبٌ، قُلْنَا وما الأدبُ؟

إِنْ كانَ ذَا أدباً... فليسقط الأدب!!

● في مرحلة الدراسة العليا ورفاق الدرب؟

○ لقد أتمَّ عبدالله الطيب المدرسة الثانوية وقُبِلَ بكلية الآداب «المدارس العليا» بالخرطوم. وأنشئت هذه المدارس حينما أرادت حكومة المستعمر تطور التعليم في كلية غردون التذكارية وجاء علي بك الجارم ورفع تقريراً عن إنشاء قسم مدرسة اللغة العربية.

وكانت دفعة عبدالله الطيب تتكون من اثْنَيْ عشر طالباً أذكر منهم المرحوم عبدالرَّحيم الأمين والمرحوم الدكتور أحمد الطيب أحمد والَّذين أكملوا السنة الرابعة بالكلية هم عبدالله الطيب وعزالدين الأمين وصلاح الدين المليك وأحمد عبدالله المغربي وإبراهيم علي إبراهيم وحسن حلمي.

● **كيف تم الإبْتَعاث إلى إنجلترا؟**

○ دفعة عبدالله الطيب بكلية الآداب تميز منهم ثلاثة هم المرحوم عبدالرحيم الأمين في النقد الأدبي والمرحوم الدكتور أحمد الطيب أحمد في اللغة الإنجليزية والترجمة والنحو، وعبدالله الطيب الَّذي عرف بغزارة حفظه في أمهات كتب الأدب واللغة وقد بعث هؤلاء الثلاثة في فترات متقاربة إلى إنجلترا لنيل شهادات جامعية ونال عبدالله الطيب درجة الدكتوراة من جامعة لندن وكانت رسالته عن أبي العلاء المعري وللأسف لم تترجم هذه الرسالة للغة العربية حتى تنشر ونري قدرته الفائقة في البحث.

● **حدثنا عن المعلم والأستاذ عبدالله الطيب؟**

○ بعد أن تخرج عبدالله الطيب عمل فترة وجيزة في المدرسة الأهلية الوسطي ومدرسة التجارة الثانوية ثم بعث إلى لندن ولما رجع إلى السودان عمل فترة بقسْم مناهج اللغة العربية للمدارس الوسطى وألَّف كتباً فيها ثم عين في جامعة الخرطوم محاضراً بكلية الآداب وتميَّز البروفيسور عبداللَّه الطيب بعلمه الغزير في الأدب واللغة والتجويد وجمع فنون الثقافة العربية وكان محاضراً جذاباً يأتي لمحاضرته عدد كبير من طلاَّب الكليات الأخرى بالجامعة للاستماع إلى محاضراته وكان من حظي أن تتلمذت عنده، حينما كنت أعد نفسي لنيل البكالريوس بمرتبة الشرف التي تؤهل للماجستير أولاً بجامعة الخرطوم ولا أدري أأتحدث عن مقدرته في التجويد والقراءات أم في الفلسفة الإسلامية ودراسة كتاب «تهافت الفلاسفة» للإمام الغزالي .. أم في دراسة المدارس الفكرية في النقد أم في تدريسه لفن شعر الرموز وخاصة أرجوزة رؤبة ابن العجاج التميمي «٦٨٥م-٧٦٢م» من علماء اللغة في الأدب العربي.

وأثناء الدراسة وبعد نجاحي في مرتبة الشرف اقْتَرَحَ عليَّ البروفيسور عبدالله الطيب أن أكتب رسالة عن الشاعر محمد سعيد العباسي وكان يحب شعره ويعجب به فشرعت في كتابة الرسالة ووجدت منه خير عونٍ وتوجيه وقد أوصى برفع الماجستير لدرجة الدكتوراة. والبروفيسور عبدالله الطيب ذو نظرة خاصة دقيقة لا يجامل أحداً في العلم بغير حق.

● عبدالله الطيب الإنسان ماذا تقول عنه؟

○ عرف عبدالله الطيب برعايته وحنوه على أبناء وبنات أقاربه يتعهدُهم منذ الصغر في المدارس حتى الجامعات فيقيمون معه في منزله وكذلك عرف برعايته لطلأبه ودفعهم للوصول إلى أقصى المراتب العلمية وهو مضيافٌ في داره.

أذكر أنني التقيت لأول مرة بالأديب العالم البروفيسور عبدالله الطيب في رحاب ندوة الشاعر الكبير الراحل منير صالح عبدالقادر بإجزخانة العاصمة المثلثة بالخرطوم في مستهل الستينيات وكنت آنذاك في مرحلة مبكرة من العمر أواظب علي حضور تلك الندوة الأدبية التي درج علي ارتيادها لفيفٌ من الأدباء والشعراء، وأذكر منهم الأساتذة الأجلاَّء محمد المهدي المجذوب ومحمد محمد علي والكاتب المسرحي الراحل الدكتور أحمد الطيب ومنصور عبدالحميد وبشرى أمين ومهدي محمد سعيد والهادي آدم ومبارك المغربي وسيف الدين الدسوقي وأبو آمنه حامد ومحجوب حسن والدكتور إبراهيم دقش ويوسف محمد يوسف السلامي صاحب ديوان «الشراع الأخضر» وآخرين.

وفي قصيدة بعنوان «إلى الشعبي وشهاب» بديوان «سقط الزند الجديد» يخاطب الشاعر الدكتور عبدالله الطيب بمشاعر الود والتقدير صديقيه العزيزين الأستاذين محمد المهدي المجذوب والشاعر منير صالح عبدالقادر قائلاً :-

يا خليليَّ حياةٌ قد تطـــولُ
وهمومٌ جــاثماتٌ ما تزولُ
فانســـيا آلامها والتقــيا
حيثُ روضُ الودِّ ريَّانٌ ظليل
لكمامن صــفوهِ وِرْد ومــن
عَـــرفهِ رَوْحٌ إلهيٌ جــليلُ
وحـــياةٌ غيرَ ما أبصــرتُما
من أضـــاليل تبارى وتجولُ
لكمـــا في الودِّ عيشٌ ناضرٌ
وحُزونٌ ممـــرعاتٌ وسهولُ
والفتى الشعرُ – على إشراقه
شـــاردُ اللُبِّ بعينيه ذهولُ

نشـــر الودُّ علـيهم ظله

وسقاهـــم ماءه وهو هميلُ

ورعاهم فاغتذوا من نوره

نورَ صـــدقٍ أزليّاً ما يحولُ

لكما في الودِّ دوحٌ باسـقٌ

وَأَمَانِيٌّ عـــذابٌ وشمولُ

فاحفظـــا ذِمتهُ عندكما

فهو بالذمةِ والعهـــد كفيلُ

أأخا المهديِّ في المهديِّ من

يكفلُ الودَّ وهـــل ذاك قليلُ؟

كان عهدي بك شهماً حدِباً

أفبالعـــفوِ على الهفوِ بخيلُ؟

إنَّما يَتبَّـــعُ الغيَّ فتىً

ليس يهديه إلى الرشد سبيلُ

أمـــنيرُ الرأي في رأيك ما

يكشفُ الحِندسَ والليل ثقيلُ

أنا من تعرفني أســـهرني

أن يـــقال الوُدُّ سهرانٌ عليلُ!

ويبدو جلياً من أبيات القصيدة أن الشاعر عبدالله الطيب يعاتب صديقيه الحميمين «محمد المهدي المجذوب ومنير صالح عبدالقادر» لخلافٍ نشب بينهما، وظلَّ يناشدهما مراعاة الودِّ والإخاء بعدم التمادي في البغضاء، والشحناء، ويدعوهما إلى الصفح والصفاء قائلاً:

يا خـــليلين سرى بينهما

سهمُ دهرٍ حاســـد فيه فلولُ

أسكِنا الجُرْحَ بصفوٍ عاجلٍ

وابسِما فالجرحُ نوحٌ وعويلُ!

وقد عرفت الدكتور عبدالله الطيب عن قرب كريماً مضيافاً ومحدِّثاً حاضر البديهة، شديد الذكاء، وأديباً فذاً، وشاعراً مبدعاً، وباحثاً وناقداً حصيفاً وعالماً لغوياً جليل القدر وقد تجاوز بثقافته آفاق اللغة العربية إلى اللُّغة الإنجليزية حيث شارك في تدريس الطلاَّب بالجامعات البريطانية بمحاضرات عن الأدب الإنجليزي شارحاً ومحلِّلاً أعمال كبار الأدباء والشعراء أمثال وليم شكسبير وبيرسي شيلي وكيتس وإليوت.

ومن ذكرياتي الطريفة مع البروفيسور عبدالله الطيب أيَّام انعقاد ندوة الشاعر منير صالح عبدالقدر بصيدلية العاصمة المثلثة بالخرطوم أنه درج على الحضور إلى الندوة بعربة «موريس ماينر» ذات «تنده» من قماش.

وعند انتهاء النَّدوة الأدبية يوميًّا، كان من المهام الَّتي تقع على عاتق الحاضرين الإسهام في دفع عربة البروفيسور ودفرها حتى تدور ماكينتها وتنطلق إلى حيث يشاء صاحبها.

وقد لاحظت بمرور الأيام أنَّ عدداً من الحاضرين يسارعون في الانسحاب خلسة من الندوة قبل انتهائها حتى لا يجهدون أنفسهم بدفر العربة وكنت مع الأديب منير صالح نؤدي مهمة دفر «العربة» حتى تدور ماكينتها.

ومن وفاء الأديب العالم البروفيسور عبدالله الطيب لتلك الندوة إهداؤه في صدارة ديوانه «أصداء النيل» لمؤسسها وأعضائها بقوله «إلى صيدلية العاصمة المثلَّثة وإلى منير وبني صالح ومجمع الشعراء والأدباء في ندوة صيدليتهم المحروسة .. أهدِي أصداء النيل».

كشف اقتباسات «إليوت» من الشعراء العرب؟

في كتاب «الفتنةُ بالشاعر «إليوت» خطرٌ على الأدب العربي» كشف البروفيسور عبدالله الطيب اقتباسات «إليوت» من الشاعر العربي «لبيد بن ربيعة العامري» وأشار إلى أوجه التشابه والتقارب بين قصيدة «الأرض اليباب» لإليوت وقصيدة «لبيد» الَّتي جاء فيها قوله :

عفت الديار محلُّهَا ومقامها *** بمنى تأبَّد غولُهَا ورجامـــُهَا

ولا شك أن معنى هذا البيت يتفق في مضمونه مع قصيدة «إليوت» «الأرض اليباب» وفي ذات المعنى يستطرد الشاعر العربي «لبيد» قائلاً :

فمدافع الريان عُرِّيَ رسمها *** خلقاً كما ضمن الوحي سلامها

ويقول الدكتور عبدالله الطيب في شرح هذا البيت : إن معالم الأرض كانت مدفونة، فعرتها الرياح والسيول، وأظهرتها بعد طول اِخْتفاء.

ويقول «لبيد» :

وجلا السيول عن الطلول كأنها *** زُبَرٌ تجدُّ متونَهَا أقلامُهَا

وهكذا يسوق الدكتور عبدالله الطيب الأدلة الدامغة والنماذج المتشابهة بين الشاعر الإنجليزي «ت. إس. إليوت» والشاعر الجاهلي العربي «لبيد بن ربيعة العامري».

وعن اقتباسات أخرى للشاعر الإنجليزي «ت. إس إليوت ١٨٨٨ – ١٩٦٥م» يقول البروفيسور عبدالله الطيب في صفحة «٥١» بكتابه «الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي» ... لقد نُشِرَ ديوان «ذي الرُمَّة الشاعر الأموي بكمبردج سنة ١٩١٩م وترجمت بائيته من قبل ولعل «إليوت» قد لقى «مكارتني» الَّذي حقق الديوان وقد نبَّه «شارلس ليال» على منزلة ذي الرمة في ذيل صفحة ١١١××× من مقدمة مختاراته الشعرية قائلاً :

DHU - R - RUMMAH WAS THELAST REALLY GREAT REPRESENTATIVE OF THE DESERT SONG.

وكان ذو الرمة حقاً آخر شعراء الصحراء العظام أو آخر ممثل لعظام المتغنين بالصحراء وفي هذا نظر وأبو عمرو بن العلاء عندنا أصبح بصيراً بالشعر من «شارلس ليال» علي حسن اجتهاده ورأيه في ذي الرمة معروفٌ، إذ جعله شاعراً من المحدثين وهو في الحقيقة لهم رائد.

وما نشك أن «إليوت» قد اطلع على ترجمة «ليال» في اختياراته الشعرية ومقدمتها، وأفاد من ذلك في معرفة طريقة نظم الشعر العربي، في زمان كان فيه شعراء أوروبا والإنجليز خاصة يريدون التجديد ويطلبونه من طريق الأخذ عن أمم الشرق أشد طلب وقد نشر «شارلس ليال» اختياراته الشعرية سنة ١٨٨٥م وكان موظفاً بالهند، ومن قبل سبق له نشر بعضها في مجلة «بنغال» ثم إنه في سنة ١٩١٨م نشر ترجمته للمفضليات مع تعليقاته الناضجة النفيسة وقد حقق شرح ابن الأنباري للمفضليات كما هو معروف وسنعرض إن شاء الله من بعد لما نرى أن «إليوت» أخذ من «ليال» في المقدمة التي ذكرناها.

قال ذو الرمة يصف الجندب :

مُعْرَوْرِياً رَمَضُ الرَّضراضِ يركُضُهُ *** والشَّمسُ حيرى لها بالجوِّ تدويم

وهذا البيت مشهور وقيل فيه إِنَّهُ أكثر رمضاً من رمال «يبرين» لتكراره الراء والضاد وهذا يسمى الآن الجناس الداخلي وهو فن في العربية قديم وبيت ذي الرمة هذا يحتوي على معنى ظلال إليوت المتكسرة وشمسه التي تصك WHERE THE SUN BEATS. والشَّمسُ حيرى لها بالجو تدويم.

وتأمل «رمض الرضراض» مع قوله «يركضه» لأنَّ الجندب يطلب المأوى في بقية الظل المتكسر في رمض الرضراض وأخذ ذو الرمة من كعب بن زهير قوله «يركضه» لأنها من قول كعب :

«......... وقد جعلت ورق الجنادب يركضن الحصى»

ومن كليهما أفاد من أفاد.

هذا وفي قول «إليوت» :

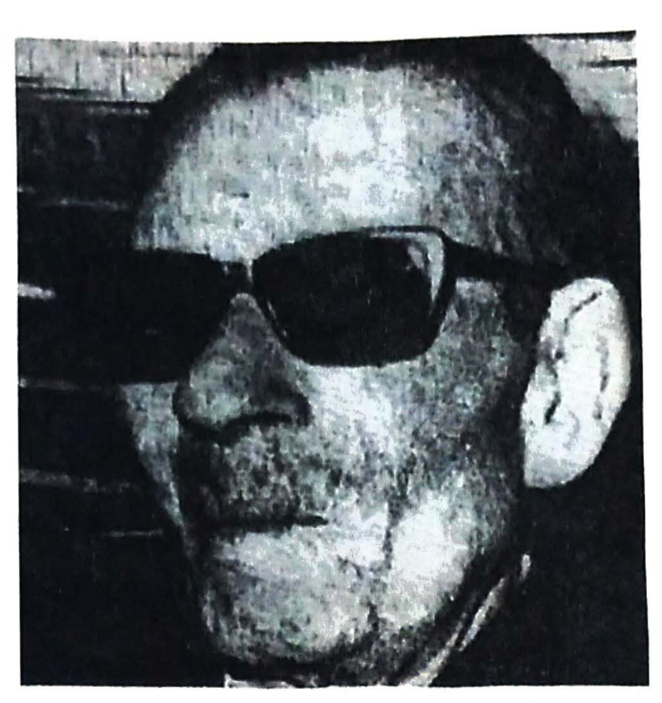
FOR YOU KNOW ONLY A HEAP OF BROKEN IMAGES.

وعبارة «كومة من ظلال متكسرة» فيها نوع من السخرية بأساليب الشعراء، إذ كلمة IMAGE كما تدل على الظل تدل أيضاً على الصورة البيانية من تشبيه واستعارة وما أشبه وفيه صدى من «وردز ورث» ودي لامير، كليهما، وتأثر بمقدمة «وليم جونز» لمعلقة «لبيد بن ربيعة العامري» حيث ذكر أوصافه وتشبيهاته وزعم أنها مثل التشبيهات الطويلة التي ترد في الشعر الأوروبي الكلاسيكي أي «اليوناني واللاتيني».

هذا وزيادة على ما تقدم، واعتماداً على ما هو نازل عندنا منزلة الدليل القاطع بأنَّ «إليوت» قد اطَّلعَ على كثير مما ترجم من أدب العرب وعلى ما كتبه كبار المستشرقين بالإنجليزية، على أقل تقدير ما كتبه السير شارلس ليال مما يدل على فهم عميق لطريقة الوحدة والانسجام عند شعراء العرب القدماء.

وعلى سبيل المثال تعليقه على «بائية» سلامة بن جندل، و «لامية» بشامة بن الغدير، و «عينية» سويد بن أبي كاهل ، وطويلتي علقمة بن عبدة. ولا شك أن «إليوت» قد اطلع على شئ من مقدمة «ليال» لمختاراته الشعرية «طبعة ١٨٨٥م» إذ كان ذا استشراق ومن عصبة نجباء الحكومة البريطانية بالهند إحدى مراكز البحر الشرقي الكبرى .. وقد وصف «ليال» القصيدة العربية القديمة بأنها تعرض علينا صوراً متتابعة مأخوذة مباشرة من التجارب والواقع مصوغة بمهارة وإحكام يربط بينها عنصر من الوحدة التي لا تبدو وثيقة واضحة، ولكن تخضع لروحٍ من الشاعر يهيمن عليها بكشف ما يشتمل عليه ضميره.

وفي كتاب «التماسة عزاء بين الشعراء» نلاحظ قدرة الناقد المتمكن البروفيسور عبدالله الطيب على قياس أوزان الشعر الإنجليزي ببحور وأوزان الشعر العربي «الخليلي» كما أبدى عدة ملاحظات وآراء نقدية على أسس منهجية وموضوعية حول أدب «شكسبير» و «جي دي موباسان» و «ياتس» و «كولردج» و «وردز-ورث» وتطرَّق أيضاً بالدراسة والتحليل لأشعار البحتري وأبي الطيب المتنبِّي وأبي العلاء المعري وعمر بن أبي ربيعة وأبي تمام وأبي دلامة.



د . طه حسين

إني أهنئ نفسي وأهنئُ قراء العربية بهذا الكتاب الرائع، وأهنئ أهل مصر والسودان بهذا الأديب الفذ.

أضواء على المؤلف الضخم

المرشد إلى فهم أشعار العرب (الجزء الأول)

يحق لقراء الأدب العربي المعاصر أن يعتزوا ويفخروا بهذا السِّفر الأدبيِّ الجليل «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها» بأجزائه الأربعة، الَّذي عكف على إعداده وتاليفه العالم النحرير والأديب المفكر البروفيسور عبدالله الطيب وهو من كبار أدبائنا المبدعين المعاصرين.

والمؤلف الضخم «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها» سفرٌ لغوي، أدبي، ذو فوائد جمة، ومنافع شتي، يجتنيها اجْتناء الرحيق من الزهر، القارئ الذكي، الفطن، الَّذي يجد في متونه وحواشيه علماً ومعرفةً ببحور الشعر، ودقائق أسرار اللغة وأساليبها الفنية، فينهل من معينها الفياض وسلسالها الدفَّاق، فنون الإبداع الوصفي والبلاغي نثراً وشعراً ونحواً وعلماً.

وقد امتدح هذا السِّفْر الضخم الرائع الأديب الكبير الدكتور طه حسين بقوله في المقدمة «هذا كتابٌ ممتع إلى أبعد غايات الإمتاع لا أعرف أنَّ مثله أتيح لنا في هذا العصر الحديث .. ولست أقول هذا متكثِّراً أو غالياً، أو مؤثراً إرضاء صاحبه وإنما أقوله عن ثقةٍ وعن بينة، ويكفي أني لم أكن أعرف الأستاذ المؤلف قبل أن يزورني ذات يوم، ويتحدث إليَّ في كتابه هذا، ويترك لي أياماً لأظهر على بعض ما فيه .. ثم لم أكد أقرأ منه فصولاً حتى رأيت الرضى عنه والإعجاب به، يُفْرَضَانِ عليَّ فرضاً».

ويختتم الأديب الكبير الدكتور طه حسين مقدمة الكتاب بقوله «ليس الكتاب هيناً يقرأ في أيسر الجهد، ويستعان به على قطع الوقت، ولكنه شديد الأسر، متين اللفظ، رصين الأسلوب، خصب الموضوع، قيم المعاني، يحتاج إلى أن تُنْفِقَ فيه خيرَ ما تملك من جهدٍ ووقتٍ وعناية، لتبلغ الغاية من الاستمتاع به».

ويستطرد الدكتور طه حسين في مدح وتقريظ سفر «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها» للأديب الدكتور عبدالله الطيب قائلاً : «أما بعد فإني أهنئ نفسي وأهنئ قراء العربية بهذا الكتاب الرائع وأهنِّئ أهل مصر والسودان بهذا الأديب الفذ الَّذي ننتظر منه الكثير».

وقد انحصرت مباحث الجزء الأول من الكتاب في فنون نظم الشعر العربي، حيث تطرّق البروفيسور عبدالله الطيب إلى عيوب القافية ومحاسنها. وعن عيوب القافية، يقول المؤلف : لقد أجمع العلماء علي استقباح الإِيطاءِ، والإقواء، والسناد، والإكفاء، والإصراف، والإجازة، والتضمين إن وقع شئٌ منها في كلام الشاعر!.

ويقصد بالإِيَطاءِ، تكرار قافية بعينها، والإقواء : هو المخالفة بين حركات الإعراب في القوافي، كأن تجئ ببعضها مرفوعاً، وبعضها مجروراً ... والإكفاء، والإجازة والإصراف : قيل هي الإقواء نفسه .. وقيل هي اختلاف حركات التوجيه والدخيل.

والتوجيه هو مثل حركة العين في كلمة «منقعر»، إذا كانت «الراء» الساكنة هي حرف الروي .. والدخيل : هو الحرف المقحم بين ألف التأسيس وحرف الروي، كالميم من «حاملو» إذا كانت قافية .. فالألف تأسيس، والميم دخيل وكسرتها اسمها «إشباع» واللام روي وصمته مجري، وحركة الخاء المهملة اسْمها «رس» .. والسناد يطلق على عيوب كثيرة في الشعر، والتضمين : هو أن تعلّق قافية البيت على ما بعدها، فلا تكاد تستقل بنفسها كما قال الفرزدق يصف امرأة :

فَلَوْ أنَّ ذرّاً أو أبـــــاه رأى التي
رأيتُ أبت عـــــيناه أن تَتَأخَّرا
إذن لرأى مـــثل الّتي ظل رانياً
إلى فرعها داوُدُ حـــتَّى تحدَّرا
إليها من الحراب وهو على الذي
يُفصَّـــلُ فيه كلُّ شـــئ مسطرا

والإشارة في أول البيت إلى أبي ذر، وفي الثاني إلى قصة دَاوُدَ وكانت له تسع وتسعون امرأة. والشاهد في قوله تحدُّرا، والفرع هو الشَّعر.

والاصطلاحات التي أشار إليها البروفيسور عبدالله الطيب اصطلاحات اتَّفقَ عليها النقاد، وهي قديمة موروثة عن العرب الأوائل .. وقد ورد بعضها - كما قال المؤلف - في الشعر الأموي .. وقال ابْنُ الرقاع «أغاني الدار ٩-٢١٧» :

وقصيدةٍ قد بتُّ أجمع شملها ** حتى أقوِّم ميلها وسنادها

كما ورد في الخبر الذي روى عن النابغة أنه كان يقوي أو يكفئ «اللسان، كفا» .. وقد جمع أبو العلاء المعري «الاصطلاحات» في بيتين من شعره في «سقط الزند» إذ يصف الغراب بقوله :-

من شاعرٍ للبينِ قال قصيدةً
يرثي الشريفَ على رَوِيِّ القافِ
بُنِيَتْ على الإيطاءِ سالمةً من
الإقواء .. والإكفاء .. والإصراف!

وقال المعري يصف البدو :

بناةُ الشعر ما أكفوا رويا ** وما عرفوا الإجازة والسنادا

وفي مقدمة اللزوميات كلمة وافية عن القافية ومستلزماتها وعيوبها، وكذلك في كتاب العمدة لابن رشيق.

وفي المبحث الثاني بكتاب «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها» يتناول المؤلف البروفيسور عبدالله الطيب بالعرض والشرح والتحليل، أوزان الشعر وموسيقاه ويعدِّد أنواع البحور والأوزان على النحو التالي :-

النمط الصعب - الأوزان المضطربة - الأوزان القصار - الخفيف القصير - الخبب والرجز - القصيران والمتقارب المنهوك - وبحر المجتث - والكامل القصير - ومخلَّع البسيط - والهزج - والرمل القصير - والرمل الطويل - والمديد المجزوء - والسريع - والمنسرح والخفيف - والرجز الكامل - والمتقارب - والوافر - والطويل والبسيط.

ومن أمثلة «النمط الصعب» أشار المؤلف إلى ثلاثة بحور بقوله :

النمط الصعب، عبارة وصف بها أبو عُبيدٍ البكريِّ لامية تَأبَّطَ شَرّاً الحماسية في شرحه لكتاب الأمالي المعروف بسمط اللآلئ .

وعبارة النمط الصعب استعارها البروفيسور عبدالله الطيب ليصف بها ثلاثة بحور نادرة الاستعمال في الشعر وهي :

١ / المديد : «العروض الأولى والثانية»

ومثال العروض الأولى :

إنَّ بالشعب الذي دون سَلعٍ ** لَقــــتيلاً دمُـــهُ ما يُطَلُّ!

ومثال للعروض الثانية :

لا يغرنَّ أمرءاً عيشه ** كلُّ عيش صائرٌ للزوالْ

٢ / الخفيف الثاني ومثاله :

رُبَّ خرقٍ من دونها قَذَفُ ** ما به غيَر الجنِّ من أحدِ

٣ / البسيط الثالث ومثاله :

ماذا وقوفي على رسمٍ عفا ** مُخلولِقٍ دارسٍ مُستعجِمِ

وقد يجئ مثاله في قول شاعر آخر :

يا صاح قد أخلفت أسماء ما ** كانت تمنِّيك من حُسن الوصال

وعن حقيقة الأوزان التي أسماها الدكتور عبدالله الطيب «الأوزان المضطربة» في صفحة ١٠٠ بالكتاب قال : هذه الأوزان ليست مضطربة في الحقيقة، وإنما كرهتها آذان العلماء الأوائل، فاعتبروها كأنها غير مستقيمة، كقول المرقش الأكبر في مفضليته (هل بالديار أن تجيب صمم؟) وقد جعله ابن عبد ربه من السريع.

ووزن الآخر :

لو وَصَلَ الغيثُ لأبنَيْنَ امْرأ ** كانت لــه قبةٌ سحق بجاد

وهو وزن مخلوط صدره من الرجز وعجزه من البسيط المجزوء.

والوزن الثالث أطلق عليه الدكتور عبدالله الطيب اسْمَ «مُتَخَلِّعُ البسيط» وهو البسيط الَّذي أوله مجزوء وعجزه مخلَّع كما في بيت عُبَيْدِ بن الأبرص :

وكلُّ ذي إبلٍ ... مَوْرُوثُهَا ** وكلُّ ذي نعمـــةٍ مسلوبُ!

وهكذا ظل البروفيسور عبدالله الطيب يقدِّم النماذج الشعرية الجيدة بمختلف أوزانها ومضامينها في الجزء الأول من سفره المفيد الجليل «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها».

البروفيسور عبدالله الطيب مع الجرجاني وابن الأثير في الجزء الثاني من «المرشد»

حقيقة الجمال وفصاحةُ الكلم، وجرس الألفاظ، والجناس، والطباق، وآراء القدماء في المطابقة، والتقسيم، والموازنة، والخطابة، والأخبار، ومذاهب الشعراء النابهين النوابغ كأبي تمام، والبحتري، وأبي العلاء المعري والمتنبِّي، وموضوعات أدبية ولغوية تطرق لها الأديب العالم البروفيسور عبدالله الطيب بأسلوبٍ سلس رفيع، ومنهج بياني بليغ، واستشهادات نثرية وشعرية تدلُ على سعة أفقٍ، وإلمام، واستيعاب لدقائق اللغة العربية وأسرارها، والتالد من الأدب العربي وحديثه وطريفه، بما يجذب القارئ المثقف لِلاطِّلاع على كتاب «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها» للبروفيسور عبدالله الطيب.

وعن فصاحة الكلمة، وبدائع الألفاظ بين الحَسَن والقبيح من فروق لغويةٍ ولفظية، انتقد الدكتور عبدالله الطيب تناقض بعض آراء الأديب الناقد الشهير عبدالقاهر الجرجاني، موضحاً اعتراضات «ابن الأثير» عليه، وبرغم نقده للجرجاني إلا أنه يقرٌّ له بالعمق، وبعد النظر في كثير من آرائه، وملاحظاته النقدية، وذلك بقوله في صفحتي «٢٢» و«٢٣» بالمرشد – الجزء الثاني :

«يؤخذ على عبد القاهر الجرجاني» أنَّ في كلامه نوعاً من التناقض، من حيث أنَّه يُسلم أنَّ الكلمات منها الغريب الوحشيُّ، ومنها الذي يَكُدُّ اللسان، ثم ينفي بعد هذا كله أن تكون الكلمات متفاضلة غير متساوية قبل أن يشملها النظم. وربما يُعْتَذَرُ لعبدالقاهر عن هذا، بأنَّه كان يرى الألفاظ في جملتها غير متفاضلة، وأنَّ فضل المستعمل على غير المستعمل، والخفيف على الثقيل طفيف، بحيث يمكن تجاهله، وأنَّ النظم إذا أجاده صاحبه قد يسبغ على كلمةٍ وحشية رونقاً لا يتهيأ ولا يتأتى إذا وضعنا مكانها كلمة أخرى مألوفة!. وقد يتيح لكلمةٍ ثقيلةٍ تَكُدُّ اللسان، من العذوبة ما لا يتوفر لو استبدلناها بأخرى مما يحسب خفيفاً سهلاً!.

ولابْن الأثير أن يعترض على هذا الاعتذار باعتراضاتٍ كثيرة، منها أنَّ في تسليم عبدالقاهر الجرجاني نفسه بأن في الكلمات ما يكون ثقيلاً كاداً للسان من طبيعة

مخرجه، ما يدل على صدق النظرية القائلة بحسن ذوات الكلمات وقبحها. ومثل هذا الاعتراض لابد أن يجر إلى اعتراضٍ آخر، وهكذا حتى نخوض ونلجِّج في بحر طويل عريض من السفسطة!.

هذا، ومع أنَّ نظرية عبدالقاهر الجرجاني ليست دقيقة سليمة كل السلامة، كما بيَّنت فهي عندي أعمق غوراً من نظرية ابن الأثير، لأن ابن الأثير لم يزد على أن قسَّم كل الموسوعة اللغوية إلى قسمين حسن وقبيح، وبنى كل ذلك على أساس واهٍ سطحي! وأما الجرجاني، فقد تنبه إلى ما للتركيب والنظم من تأثير عظيم على رنين الكلمات، وموقعها من الأسماع والقلوب. وأكبر ما يؤاخذ به هو أنه نسب كل حسن وقبح في الألفاظ إلى التركيب وحده.

وحتى على تقدير أنَّ الموسوعة اللُّغوية خالية مما يَكُدُّ اللسان، وخالية من المألوف وغير المألوف .. فقول «الجرجاني» لا يمكن التسليم به في جملته، لأنَّه مبنيٌّ على تناسي العنصر البشري، وما تفعله الكلمات فيه، منظومة ومفردة من تأثير. ولا شك أنَّ الإنسان بطبيعته لا مفرَّ له من أن ينفعل انفعالاً ما، نحو ما يقع في حيز إدراكه، والألفاظ المفردة، كالمنظومة، كلها واقعة في حيز الإدراك وباختلاف الناس تختلف الانفعالات، ومن هنا يحدث التفاضل في الألفاظ المفردة، قبل أن يلحقها النظم، ولولا ذلك ما كان يجد ابن الأثير من يهتم بما ذكره، فضلاً عن أن يؤيده!!.

وفي باب «حقيقة الجمال» بكتاب «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها» يتناول الدكتور عبدالله الطيب بالدراسة «المقارنة» والتحليل بعض المقولات والنظريات الفلسفية حول حقيقة الجمال، قائلاً : ما زال الفلاسفة من لدن أفلاطون يكتبون عن الجمال، وقد لاحظ الكاتبُ عن الجماليات في الموسوعة البريطانية، أنَّ أمر الشعور بالجمال وتقديره والإعجاب به، مرجعه أولاً من كل شئ إلى الذات، وإلى أعماق القلوب، غير أنه ما دام الشعور بالجمال كله، تابعاً ومترتباً على الإدراك الحسي، فإنه لا مندوحة عن التساؤل أمن الممكن إدراك حقيقة الجمال إدراكاً مَوْضُوعِيًّا عِلْمِيًّا وتحليلياً، كما هي الحال في كل الأمور التي يكون علم الإنسان بها وتقديره لها متأتياً عن طريق الإدراك الحسي؟

وقد زعم الفيلسوف الألماني «كانت» أن الجمال ليست له حقيقة موضوعية .. وكيف تكون له حقيقة علمية موضوعية والنَّاس إنَّما يقيسونه بمقياس الذوق؟ ولأمرٍ ما اختاروا الذوق، ليعبروا عن ذلك المقياس الذي يقيسون به الجمال، إذ قلَّ أن تجد الناس أكثر اختلافاً وتبايناً في حاسة من الحواس، منهم في حاسة الذوق! وقد ذهب الفيلسوف «كانت» إلى أبعد من هذا فزعم أن تقدير الجمال والاعتناء بقيمته ظاهرة اجتماعية!.

وعن أنماط التقسيم في الشعر العربي والمقصود منه تجزئة الوزن إلى مواقف أو مواضع يسكت فيها اللسان أو يستريح أثناء الأداء الإلقائي يحدثنا الدكتور عبدالله الطيب عن الشاعر أبي الطيب المتنبئ الذي كان يكثر من «التقسيم»! وقد نبه «الثعالبي» في كتابه «يتيمة الدهر»، إلى هذه الظاهرة في شعر «المتنبي» وامتدحها وأطنب في ذلك، وتمثل له بأشياء منها زعمه بأنها أحسن من تقسيمات «إقليدس» ويقدم أمثلةً من شعر «المتنبي» في إطار «التقسيم» كقوله :

مرَّت بنا بين سِرْبَيْهَا، فقلت لها ** من أَيْنَ جانس هذا الشادنُ العَربَا؟
فاستضحكت، ثم قالت، كالمغيث يرى ** ليث الشرى، وهو من عِجلٍ إذا انتسبا
جاءت بأشجع من يُسْمَى، وأسمح من ** أعطى، وأبلغ من أملى، ومن كتبا
لو حلَّ خاطرهُ في مقعدٍ، لمشى، ** أو جاهلٍ، لَصَحَا، أو أخرسٍ خطبا!

وعن الشاعر أبي العلاء المعري يقول الدكتور عبدالله الطيب ممتدحاً تمكنه من صياغة روائع الكلم ومعرفته بأسرار البيان :

كان أبوالعلاء المعري مقتدراً في لغة العرب، خبيراً بأسرارها، وكان من أخبر الناس بصياغة الكلام، وزخرفة البديع، وكان مشغوفاً بالأخبار والآثار والغريب، ومفكِّراً دقيق الفكر، وحسَّاساً ملتهب الإحساس، مشتعل العاطفة، ولذا كان ينزع نحو الوضوح، وَاتِّباع السهل من القول.

وهنا وجد المعري نفسه أمام تناقضٍ من أعنف ما لقيه في حياته الأدبية : أيتنكب سبيل البساطة الَّتي يتطلبها فكره من أجل حبه للغة والإبداع فيها؟ أم يترك

حبه لِلُّغة من أجل البساطة التي يتطلبها فكره؟ وقد خُيِّل إليه أنَّ الجمع بين هذين النقيضين أمرٌ ممكن في مبدأ حياته الفنية حين كان ينظم :

مغاني اللِّوى من شخصك اليوم أطلال

ونظائرها مما يجمع فيه بين الكلام الجزل الواضح والكلام المصنوع المتأنق فيه .. ولكن حبه للبديع وفنون اللغة، استولى على جُل تفكيره في قصائده كمثل قوله :

هاتِ الحديث عن الزوراء أو .. هِيتا

وقوله أيضاً :

تحية كِسْرَى في السَّناءِ وَتُبَّعِ

ولا يكاد «المعري» يبلغ الذروة في الإغراب حتى تثور ثائرة فكره، وينحدر إلى سهل البساطة في قوله :

يا عارضاً لاحَ تحدوه بوارقه
للكرخ حُيِّيت من غيثٍ وَنُجِّيتَا
لنا ببغداد من نهوى تحيته
فإن تَحَمَّلْتَهَا عــنَّا، فَحُيِّيتَا!!

البروفيسور عبدالله الطيب بين الجاحظ.. وشكسبير.. وامرئ القيس في الجزء الثالث من «المرشد»

حصيلة طيبة من فنون النثر والشعر في مجال أوزان القصيدة، وأثر القرآن الكريم على البلغاء، وشاعرية النثر العربي، ورمزية الشوق والحنين، والمبدأ والنسيب، ومقاييس الجمال، وغيرها من الموضوعات الأدبية الشائقة، المفيدة، نجدها بتفاصيل وافية، وشروح مستفيضة، وبمقارنات وموازنات نقدية وتحليلية دقيقة تدل على ثقافة موسوعية للعالم الجليل والأديب الأريب الدكتور عبدالله الطيب في الجزء الثالث من سفره الضخم «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها».

ولا يخفي الدكتور عبدالله الطيب تقديره وإعجابه بالأسلوب النثري الفني لعمرو بن بحر الجاحظ فيمتدحه ويشيد بمنهجه النثري قائلاً :

لقد كان «الجاحظ» يحتفل لإرسال اللفظ متدفعاً تدفع الأمواج، ومنطلقاً انطلاق التيار، كما كان يحتفل لسوق المعاني متتابعات متدرجات متساويات، أولها فرط لآخرها، وأواخرها نتائج لأوائلها، فيجمع من الاحتفالين وشياً منمنماً، وفصوصاً كفصوص العقود، تبهر النفوس وتروِّع القلوب! وكمثالٍ لهذا قوله في كتاب «البخلاء» على لسان خالد بن يزيد يوصي ابنه :

«ولست أرضاك وإن كنت فوق البنين ولا أثقُ بك وإن كنت لاحقاً بالآباء، لأني لم أبالغ في محنتك. إني قد لابستُ السلاطين والمساكين وخدمتُ الخلفاء والمكدين، وخالطتُ النُساك والفتاك، وعمرت السجون كما عمرت مجالس الذكر، وحلبتُ الدهر أشطره، وصادفت دهراً كثير الأعاجيب! فلولا أني دخلتُ من كل باب، وجريت مع كل ريح، وعرفتُ السرَّاء والضرَّاء حتى مثَّلت لي التجارب عواقب الأمور، وقربتني من غوامض التدبير، لما أمكنني جمع ما أُخلِّفه لك، ولا حفظ ما حبسته عليك. ولم أحمد نفسي على جمعه، كما حمدتها على حفظه، لأنَّ بعض هذا المال لم أنله بالحزم والكيس! وقد حفظته لك من فتنة البناء، ومن فتنة النساء، ومن فتنة الثناء، ومن فتنة الرياء، ومن أيدي الوكلاء، فإنهم الداء العياء».

ومن شدة إعجاب المؤلف الدكتور عبدالله الطيب بهذا الاسلوب النثري البديع للجاحظ يقول : «تأمل هذا الصوغ والتقسيم المحكم ذا النغم المطرب ثم وازن بينه وبين قول وليم شكسبير» :

Shall I compare thee to a summer's day? Thou Art more lovely and more Temporate Rough winds do shake the darling buds of may and summer's lease hath all too short a date!

ويستطرد المؤلف في حديثه عن الموازنة بين النثر الفني للجاحظ وبين شعر شكسبير، قائلاً : لعلّي إن تمثلت بشيء من خطب شكسبير في مسرحياته، كان يكون أيسر في هذا الموضوع، ولكني تعمدت هذا المثل تعمداً من «سوناتاته» لأنَّ نظمها أشد إحكاماً في الأوزان الشعرية عند الإفرنج .. فإن وضح ما أزعمه في التمثيل به، كان أوضح في المرسل. وليس مرادي بقولي : «وازِن» آنفاً أن نقصد إلى موازنة المعاني وإنما أريدك لتوازن بين شكلي الإيقاع .. ألا تجد أن «شكسبير» لا يتجاوز في إيقاعه أمر المقابلة والمطابقة وجرس الصوت المستمد من مخارج الكلمات، ثم القوافي من بعد؟ أم لا تحصِ أنَّ قوافيه أقرب إلى السجع في نظام العربية منها إلى الروي المتلئب؟

ولعمري قد يقع للجاحظ ما هو أدنى إلى شبه الروي منها كالذي في آخر ما استشهدنا له من قوله فيما مضى. ولا أغلو إنْ زعمت أنَّ أكثر نثر «الجاحظ» الذي لم ينحُ فيه منحى التأليف يشبه في وزنه وإيقاعه أصنافاً من الشعر الإنجليزي المقفى والمرسل. ولئن صدق هذا القول على الجاحظ، فهو أصدق على كثير من معاصريه ممن كانوا أميل إلى السجع كأبي العيناء مثلاً... ولئن صدق على كُتَّابِ القرن الثالث، لهو أصدق على كُتَّابِ القرن الرابع من أصناف الصاحب والبديع، وعلى من اتبعوا سبيلهم من أصناف الحريري والقاضي الفاضل.

وأقول ذلك لأنَّ هؤلاء قد كانوا أحرص على رونق الشكل، وتصنيع الأسجاع، والازدواج، والتجنيس، والتطبيق، والتقسيم وما إليه؛ على أنَّه، قلَّ منهم من يقارب «الجاحظ» في تدفق التيار وانسياب المعنى، واطِّراد النغم.

وفي باب «رمزية الشوق والحنين» بالمرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها،

يقول الدكتور عبدالله الطيب عن الليل والنجوم في الشعر العربي، بانها من الرموز التي لهج بها الشعراء من قديم الزمان .. وأورد كثيراً من الأبيات الشعرية التي عبَّر فيها الشعراء عن حبهم وحنينهم وذكرياتهم برفقة الليل والنجوم كقول عمر بن أبي ربيعة في الرائية :

وليلةِ ذي دورانَ جَشَّمَتْنِي السُّرى ** وقد يجشـمُ الهولَ، المُحِبُّ المغرَرُ

ثم قال :

فيالك من ليلٍ تقاصر طوله ** وما كان ليلي قبل ذلك يقصرُ

ويشبه الشاعر عبدبني الحسحاس شعر حسناء بالليالي في قوله :

ليالي تصطاد القلوبَ بفاحمٍ ** تراهُ أثيثاً ناعم النبت عافيا

وقال امرؤ القيس :

ليالي سلمى إذ تُريكَ مُنصَّباً ** وجيداً كجيد الرئم ليس بمعطال

وقال ذو الرُمَّة :

لياليَ اللهو يَطْبِينِي فَأَتْبَعُهُ ** كأنَّني صاربٌ في غمرةٍ لَعِبُ

وقال الشاعر علقمة بن عبده :

لياليَ لا تَبلَى النصيحةُ بيننا ** ليالي حَلُّوا بالستارِ فغُرَّبِ

وقال طرفة بن العبد :

ليالي أقتادُ الصبا ويقودني ** يجول بنا ريعـانه ونُجاوِلُه

وقال امرؤ القيس يصف الشعر :

وفرعٍ يُغشّى المتن أسْودَ، فاحمٍ ** أثيثٍ كقنوِ النخلةِ المتعثكلِ

وقال المُرَقِّشُ الأصغر :

ألا حبَّذا وجهٌ تُرينا بياضه ** ومنسدلاتٍ كالمثاني فواحما

وقال الشاعر أبو الطيب المتنبئ :

كشفت ثلاث ذوائبٍ من شعرها

في ليلةٍ فـــأرت ليالـيَ أربعا

واستقبلت قمر السَّمَاء بوجهها

فأرتني القمرين في وقــتٍ معا

ويرى بعض الشعراء في الليل همومـاً تجثم على الصدر وتكدر النفوس بالأشجان والأسى كقول امرئ القيس :

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله

عليَّ بأنـــواع الهموم لِيَبْتَلِي

فقلت له لمَّا تمـــطَّى بصلبه

وأردف أعجـــازاً وناء بكلكلِ

ألا أيُّها الليل الطـويل ألا انجلي

بصبحٍ وما الإصباح منك بأمثلِ

فيالك من ليلٍ كأنَّ نجـــومه

بكل مُغار الفَتْلِ شُـــدَّتْ بيذبُلِ

كأنَّ الثريا عُلِّقت في مصـــامها

بأمراسِ كتَّانٍ إلى صُـــمِّ جَنْدَلِ!

الفارابي ... والمعري .. ومارفيل .. وعبدالله الطيب

في الجزء الرابع من «المرشد»

لقد هيَّأ العالم الأديب البروفيسور عبدالله الطيب للقارئ سياحةً فكرية بمستوى رفيع في رحاب الآداب العربية والإنجليزية واليونانية، من خلال الرؤية النقدية والتحليلية لأعمال كبار المفكرين، والمبدعين الذين أسهموا بعطائهم، فنياً وفكرياً في إغناء الوجدان الإنساني عبر العصور والأجيال المتتالية.

وقد حفل كتابه الضخم القيم «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها» في الجزء الرابع بآراء وأفكار وملاحظات نقدية ثاقبة حول الأغراض والأساليب في الشعر قديماً وحديثاً.

ويقول الدكتور عبدالله الطيب في كتابه «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها» عن أثر الشعر في الوجدان الإنساني :

لقد مدح القدماءُ الشعر، فنسبَ إليه «أرسطوطاليس» في مانقلوا، في معرض الرد على أفلاطون، أنَّه يُطهِّر النفوس من أدرانها بما يتيح لها من التنفيس حين تنفعل بالبكاء ونحوه لفجائع المأساة، وبالانشراح والضحك ونحو ذلك عند هزل الملهاة! وقد زعم أفلاطون أنَّ الشعر يسلبُ المرءَ ضبط النفس، فيبكي للمأساة، ويضحك مسروراً راضياً عندما ينفي أن يخجل من مثله ،وَيَنْدَى له جبينه! وتبع «لونجينس» صاحب رسالة شرف المعنى «وهو ناقد، زعم بعضهم أنه كان من أهل تَدْمُر في القرن الثالث الميلادي» وقد تبع جانباً من مذهب أرسطوطاليس حيث ذكر أنَّ جيد الشعر ينبغي أن يسمَو بالنفوس إلى شرفٍ من المعاني .. وتبع «فيليب سيدني» الشاعر والناقد الإنجليزي مذهب «لونجينس» فزعم أنَّ الشعر فيه القدوة الحسنة، وَنَسِيَ أن فيه أيضاً المثل السئ كشخصية «إياغو» في مسرحية» أوتيلو» لشكسبير مثلاً، وله مشابه في ما كتب القدماء مِمَّنْ يكون السير فيليب سيدني قد اطَّلَعَ على آثارهم .. وأدق من مذهبه، مذهب أبي تمام في قوله :

ولولا ظلالٌ سنها، الشعر ما درى ** بُغاةُ النَّدَى من أين تؤتى المكارمُ

ونذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الشعر «إن من الشعر لحُكماً أو لحكمة» وتتمة الحديث الشريف «وإن من البيان لسحراً».

وعرَّف أبو العلاء المعري الشعر في رسالة الغفران على لسان صاحبه في وضعه الخيالي وهو يجيب رضوان خازن الجنان قائلاً : «قلت الأشعار جمع شعر، والشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد أو نقص، أبانه الحس».

وكان للمعري علم بالموسيقى والإيقاع ويشهد بذلك فصل له عن أوزان الغناء في كتابه «الفصول .. والغايات».

ولا يخلو المعري من أن يكون قد نظر في تعريفه للشعر وهو تعريف إيقاعي موسيقي، إلى أبي نصر الفارابي فإنَّه عنده أن الشعر هو : الأقاويل الموزونة – إلا أنَّ العرب في أشعارها القافية .

وقال : أشعار العرب في القديم والجديد ذوات قوافٍ إلا الشاذ منها وأما أشعار سائر الأمم الذين سمعنا أشعارهم فجلها غير ذوات قوافٍ وخاصة القديمة منها وأما المحدثة منها فهم يرومون بها أن يحتذوا في نهايتها حذو العرب.

وفي مجال الأدب المقارن، عقد الدكتور عبدالله الطيب مقارنةً شعرية بين الشاعر الانجليزي «أندرو مارفيل» والشعراء العرب : المتنبي والمعري وأبي تمام وعنترة بن شداد. والشاعر الإنجليزي «أندرو مارفيل» عاش في الفترة من عام ١٦٢١م «١٠٢٩هـ» إلى عام ١٦٧٨م «١٠٨٧هـ» وتخرج من جامعة كمبردج، وعمل مع الشاعر الشهير جون ملتون مساعداً له.

وقد أجرى الدكتور عبدالله الطيب مقارنة بين قصيدة «الحديقة» وقصائد بعض الشعراء العرب وَاتَّهَمَ الأديب الناقد عبدالله الطيب الشاعر «أندرو مارفيل» بِاقْتِبَاسِ معاني قصيدته من قصائد الفحول من الشعراء العرب وذلك على النحو التالي :-

يقول الشاعر «أندرو مارفيل» في قصيدة «الحديقة» :

ضَلَّةً للناس يوقعِون أنفسهم في لبسٍ شديد
ليُكسبوا ورقة بلوطٍ أو غصنَ غارٍ أو جائزةَ جريدٍ
وليشاهدوا تدءابهم المُلِحَّ من غير نظرةٍ

له إكليلٌ من عشبةٍ ما أو شجرةٍ

ظلها المُحرَّف الدقيق وليس بممدود

يلومهم بحكمةٍ بالغة على ذلك المجهود

والأبيات التي أشرتُ إليها آنفاً هي بعض المقاطع من قصيدة «الحديقة» للشاعر الإنجليزي «أندرو مارفيل» ويتساءل الدكتور عبدالله الطيب قائلاً: هل كان «أندرو مارفيل» يعلم شيئاً من العربية يقوى به على قراءة مشهورات دواوينها كديوان أبي الطيب المتنبي وأبي تمام والمعري؟ والَّذي يدعونا إلى هذا التساؤل هو أنَّ قصيدته «الحديقة» وغيرها من شعره تحمل ألوان شبهٍ قويةٍ بشعر «المتنبي» خاصةً، وشعر المعري وأبي تمام وعنترة بن شداد، وغيرهم مِمَّا لا نطمئن معه إلى أنَّ هذا توارد خواطر ووقوع الحافر على الحافر!.

فقول «مارفيل» في القسم الأول يسخر من اجتهاد الناس ودأبهم الموصول ليكسبوا جوائز من جريد النخل وهو رمز النصر في ما زعمه شراح هذه القصيدة، وورق البلوط وهو رمز الرياسة والسلطان، وأغصان الغار وهي رمز الشعراء، فيه روح كتشاؤم المعري في قوله:

تعبٌ هذه الحياة فما أعجب ** إلا مــــن راغبٍ في ازدياد!

وقول «أندرو مارفيل» في القسم الثاني إن الصحبة وخلاط النَّاس شئٌ فيه فظاظةٌ وغلظٌ بالنسبة إلى الوحدة وعذوبتها وهي أشبه بقول أبي العلاء المعري:

ذريني وكتبي والرياض ووحدتي ** أكون كوحشــــيٍّ بإِحدَى الأَمالس

يســــوِّف أزهار الربيع تعِلَّةً ** ويأمـــن في البيداء شَرَّ المجالس

وحديث «مارفيل» عن الشمس المعتدلة المزاج لما يحيط بضوئها والمألوف من وهجها من زهرٍ وأعشاب كأنَّما أخذه أخذاً من قول أبي تمام:

تَرَيَا نهاراً مُشمساً قد شابهُ ** زهرُ الرُّبا فكأنَّما هـــو مُقمِرُ!

التجاني يوسف بشير والطيب السراج وإسحاق الموصلي
وعبدالله الطيب في «المرشد»

المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، للأديب العالم البروفيسور عبدالله الطيب موسوعة أدبية عظيمة النفع، جليلة القيمة، احتوت على كنوزٍ من جواهر اللغة والتراث العربي والشعر قديمه وحديثه.

في بحر المجتث والتجاني يوسف بشير

في الجزء الأول من «المرشد» يحدثنا البروفيسور عبدالله الطيب عن بحر المجتث في الشعر وعن أهم مزايا جرسه وخصائصه قائلاً :

«المجتث» بحر قصير عدَّه ابن عبد ربه أحلى البحور وقال فيه «إسحاق الموصلي» وهو يتغنى بحضرة هارون الرشيد

اسمع للحنٍ خفيفٍ ** من صنعة الأنباري

ووزنه «مستفعلن فاعلاتن أو فعلاتن» مرتين، والخفة والظرف جاءاه «فاعلاتن» ولو كان استمر على «مستفعلن» لكان رجزاً ليس إلا، ولو كانت «فاعلاتن» تقدمت لكان «جنسي اللون» فيه تكفؤ :

يا أيها الذاهبونا ** مهلاً ألم تعرفونا

هلا وقفتم قليلاً ** فإننا واقفونا

والله أنتم أناسٌ ** للعهد لا تحفظونا

مستفعلٌ فاعلاتن ** مستفعلٌ فاعلونا

مستفهمٌ فاهماتٌ ** مستفهمٌ فاهمونا

ومثاله من منظوم الشعراء قول الشاعر التجاني يوسف بشير :

أذبتُ من خمر روحي ** على يديه وثغره

بقيةً من ربيع ** شقيتُ وحدي بزهرهِ

ولا يذهب الدكتور عبدالله الطيب في رأيه في «المجتث» إلى ما ذهب إليه ابن عبد

ربه من أن هذا البحر، أحلى البحور ولكنه يعتبر «الهزج» و «الرمل المجزوء» كليهما أحلى من بحر «المجتث» ولا ينكر في ذات الوقت أن «للمجتث» رنة عذبة وأنه من الأبحر القصار القليلة التي يحسن فيها تطويل الكلام للإطراب والإمتاع.

وقد عرف المتصوفة هذه المزية له، فأكثروا من استعماله في أناشيدهم، ومن ذلك قولهم :

يا قبلتي في صلاتي ** إذا وقفتُ أُصلِّي

ويذكر الدكتور عبدالله الطيب أبياتاً شعرية من بحر المجتث لابن التعاويذي وهي :

بمن أباحك قتلي
علام حرَّمت وصلي؟
أنفقت فيك دموعي
والدمع جُهدُ المقل
أتعبت نفسك يا عاذلي
عليه بعذلي
كيف السلو وقلبي
رهنٌ لديه وعقلي!

ويقول المؤلف في كتابه «المرشد» :

لقد أكثر المرحوم التجاني يوسف بشير من استعمال بحر «المجتث» وبعض الناس يعجبهم قوله في ديوانه «إشراقة» :

آمنت بالحسن برداً ** وبالصبابة نارا
وبالكنيسة عقداً ** منضَّداً من عذارى
وبالمسيح ومن طاف ** حوله واستجارا
إيمان من يعبد الحسن ** في عيون النصارى!

ويعلق البروفيسور عبدالله الطيب على هذه الأبيات للتجاني يوسف بشير قائلاً في حاشية الكتاب بصفحة «١٢٢» الجزء الأول :

بعد التأمل الذي ذهب إليه التجاني، فهو جيدٌ إذ فيه اطّلاعٌ إلى حال مقاعد الكنيسة ومناضدها .. وقد أورد الدكتور عبدالله الطيب هذه العبارة، بعد اعتراضه على قول التجاني يوسف بشير :

وبالكنيـــــسة عقداً ** منـــــضداً من عذارى

قاصداً بذلك تصويب اعتراضه بأن كلمة «منظَّم» أفضل من كلمة «منضَّد» التي وصف بها التجاني مشهد العذارى في الكنيسة لأنَّ «التنضيد» حسب قوله : يكون للمتاع، لا للعقود! ولكنه أجاز قول التجاني يوسف بشير واستجاد تعبيره بعد مراجعة اعتراضه وإيراد ما يثبت سلامة التعبير وصحته في «الحاشية» التي أشرنا إليها آنفاً.

ومن أشعار التجاني التي يُعجَبُ الناسُ بها رائيَّتُهُ في توتي :

يا دُرةً حـــــفَّها الماءُ ** واحــــــتواها البَرُّ

ويقول الدكتور عبدالله الطيب عن هذا البيت من شعر التجاني :

لعلَّ الرواية الصحيحة «واجتواها البر» لأن الشاعر أراد أن يقول إن هذه البقعة لفظها البر وألقى بها في أحضان النيل! وفي القاموس واجتواه : كرهه، فهي هنا تعبيرٌ ملائم في الوصف.

وهذه أبياتٌ للتجاني يوسف بشير في وصف شجرة مطلة على النيل :

وربَّ قـــنواءَ للعُصِمِ ** والأُنـــُـــوقِ مقر

أوفى عـــلى النيل فرعٌ ** منها وأشــــرف جذر

يُقلُّهَا الدَّهـــر عرقان ** مستـــــطيلٌ وشبرُ

يكادُ يلفظهـــا الشطُّ ** وهي شمـــطاءُ بكرُ!

وهذه الأبيات أجمل ما في القصيدة وهي من أجمل شعر التجاني من وجهة نظر الدكتور عبدالله الطيب وهو يقول عن هذه القصيدة إنَّ «قنواء» بعد التأمل لا تخلو من دقةٍ، لأن الشجرة ذات علوٍ واحدٍ، فتأمله! والقنا توصف به الأنوف، وهو أحديداب مع ارتفاع وقد يوجد للتجاني في استعماله هنا مخرج وَتَأَوُّل ... والأنوق .. هي الرخم الَّتي تقرُّ على الطوال والقصار من الشجر كما تقرُّ على الأرض.

وجاء في وصف التجاني يوسف بشير للشجرة :

وتلك يـــأوي إليها ** في الوقـــدة المستحرٌ
كم فـــي المزارع قومٌ ** شمُّ العـــرانين صعر
ذيَّاك يعزِق في العشب ** جاهـــداً ما يقرُّ!

ولعل الدافع الذي ألهم التجاني أن ينظم هذه القصيدة هو رغبته أن يفصح بمعاني النشوة والفرح التي يحسها الإنسان عندما يستقبل ملتقى النيلين وتوتي في الخرطوم عند الصباح أو الأصيل واختيار التجاني للمجتث، اختيارٌ موفق لأنه وزنٌ رشيقٌ حلو النغمة لا يصلح لغيرمجرد الإطراب والإمتاع.

وامتدح الدكتور عبدالله الطيب العالم اللغوي الشاعر الطيب السراج وكان محباً للغة العرب كلفاً بأوابدها، واستحسن قصيدةً رصينةً نظمها شيخ الطيب السراج في مدح الإمام يحي عاهل اليمن رحمه الله وقد تعرض فيها لصفة البحر بقوله:

يا أيُّها الملك المرجـــوُّ نائله
والمستغـــاثُ به في مخْـــلِفِ المُزَن
إليك جئت من السُّـــودان ترفعني
إلى لقائك أشواقي وتخفـــضـــني
مهاجراً من بلاد الشِّرك[1] ليس لنا
عنها مراغمـــــةٌ إلاَّ إلى اليمنِ
أهل المصانع من غُمدان[2] تحسبه
إذا دجا اللَّيل ســحَّ العارضِ الهتن

ومن ذمَرمَرَ[٣] أو صـرواح[٤] أو هَكِرِ
أو أهجر الهجر أو .. ناهيك من فدن
أو ذاك بينون[٥] أو ذا مـــوكلٌ وهنا
سلحينُ أو تلعم أو دورم الـعنّ[٦]

وجاء منها في صفة البحر :

جزَعته[٧] بأمونٍ جـــــسرةٍ أجدِ
عبر الهواجر من شِيزَي ذرا حَضَن[٨]
كأنما الجيش لاقى الجيش فاضطربوا
إذا تلاطمـــــت الأمواج بالسفن!

والأبيات التي ذكرناها للشيخ الطيب السراج فيها غريبٌ كثير وهي مع ذلك جيدةٌ وقد أبدى الدكتور عبدالله الطيب إعجابه بها.

هوامش :

١) بلاد الشرك : أي في عهد الحكم الإستعماري بالسودان.
٢) غمدان : من قصور اليمن.
٢) ذمرمر : من حصون اليمن «القاموس» .
٣) وكذلك صرواح وهكر بكسر الكاف .. وأهجر لم يذكره القاموس، وهو قصر باليمن، ذكره نشوان بن سعيد الحمري في كتابه «شمس العلوم».
٤) بينون : على لفظ جمع المذكر السالم وموكلٌ بكسر الكاف .. وسلحين بكسر السين «كما في البكرى» كلها من قصور اليمن.
٥) و «دورم العنّ» يعني دورم الذي يعنُّ للناظر من بعيد والعنّ مصدرٌ مضاف إليه.
٦) جزعته : قطعته – وأمون : ناقةٌ قوية مأمونة من العثار : أراد السفينة.
٧) الجسرة : والأجد وكلاهما من صفات الناقة القوية.
٨) الشيزي : خشب تصنع منه السفن.
٩) حَضَن : جبل .. يقول : قطعته بناقةٍ مصنوعة من خشب الشيزي الذي نما على ذرا حَضَن.

ثلاث نهايات مختلفات في حكايات تاجوج والمحلق

بين عبدالله الطيب.. وصالح ضرار.. ومبارك أزرق!

حكاية «تاجوج والمحلق» دارت أحداثها في منطقة البجة بشرق السودان، وهي حكاية حب شهيرة ترويها الأجيال عبر العصور المختلفة منذ القرن التاسع عشر الميلادي ولم تزل شخوصها ومشاهدها عالقةً بوجدان الأدباء والشعراء والباحثين. وقد أهداني الأديب القصصي الأستاذ مبارك أزرق مسرحيته المطبوعة عنوانها «لغز تاجوج» من منشورات مؤسسة إشراقة للنشر والتوزيع والإعلان بالخرطوم وقد صدرت للأستاذ مبارك أزرق مسرحية أخرى في عام ١٩٨١م بعنوان «النمل».

ويقول المؤلف في مسرحية «لغز تاجوج» في الفصل الثالث : تاجوج والمحلق عريسان .. وهاهي ذي تاجوج مخضبة اليدين والرجلين، تتزَّين بالذهب والفضة وتلبس ثوباً ملوناً من الحرير المقصَّب، وينضح وجهها بمسوح العطر والزيت كالغارقة فيهما وهي تجلس بجانب المحلق الذي يتلفح بثوبٍ أبيض وعلى رأسه عصابة حمراء تنتهي عند الجبهة بحليةٍ ذهبية مستديرة ويتمنطق بخنجره، وسيفه المحلى بالفضة بجانبه .. وضربات طبلٍ هادئة وصوت ربابٍ خفيض وزغاريد».

المحلق : أحبك يا تاجوج حتى تزول النجوم، وتصبح جبال أولوس الصلبة منفوشة كالقطن ويجف ماء كسلا وتصبح سوق شجرها الأخضر العالي شواهد للقبور هذا عهدٌ وميثاق.

تاجوج : أنا لا أُكَذِّب ما تقول يا محلق، لأن للصدق كفتين، إحداهما لا تعلو على الأخرى وثانيتهما لا تهبط عن الأولى : كفة الزمان وكفة المكان.

المحلق : ألا تصدقين؟ إن حبك أرسخ من جبال أولوس العظيمة وأعنف من المياه السمراء المشبعة بالطين وهي تقتات ثمار الشجر وأغصانه عند هيجان نهر القاش المجنون.

تاجوج : أصدقك

المحلق : إذن فقد صرنا جزءاً واحداً من نصفين اثنين.

تاجوج : بل نصفين اثنين في جزء واحد.

المحلق : تاجوج .. إنني لا أكذبك القول قط

تاجوج : أصدقك ولكنني أخشى قول العرَّافة.

وهكذا استمر الحوار شائقاً جذاباً بين تاجوج الجميلة الرائعة والشاعر العاشق «المحلق» في مسرحية «لغز تاجوج» للأستاذ مبارك أزرق، وفي هذه المسرحية جعل المؤلف نهاية العلاقة بين «تاجوج» و«المحلق» مأساوياً «متوتراً ومتأزماً» على النحو التالي :-

المحلق : يلقي بالغليون بعيداً وفي تشنج يردد ثلاث مرات كلمة طلقتك يا تاجوج «ثم يستل خنجره من وسطه ويطعن نفسه ويسقط ميتاً».

تاجوج : صدقت العرافة إذن وتستل الخنجر منه وتطعن نفسها به وهي تردد «ها أنا أموت بخنجرك السنين نفسه يا محلق.

وهذه النهاية المأساوية للعلاقة العاطفية بين «تاجوج» و«المحلق» تختلف تماماً عن الوقائع والأحداث التي أوردها الأستاذ محمد صالح ضرار في كتابه «حياة تاجوج والمحلق» حيث يقول :

إن زواج تاجوج من المحلق كان نتاجاً طبيعياً عن حب وكان للمحلق حبيبات سابقات، زلَّ لسانه يوماً بذكرهن فأغضب تاجوج وكان للمحلق صديق، فأراد أن يثبت له صحة دعواه في جمال جسدها، فأمر المحلق زوجته تاجوج أمام صديقه أن تقف نصف متجردة. فكان ذلك خاتمة العلاقة الزوجية بينهما. وهام المحلق على وجهه ولحق بتاجوج فتى من قبيلة الحمران اسمه النور بن اللمم فثار المحلق وعزم على أن يدأب في البحث عن ذلك الغريم ولقيه وصارعه. وانهارت صحة المحلق وتوسط بعض نساء أهله فأحضرن «تاجوج» وهو على فراش الموت.

وأما تاجوج فقد قتلت وهي في قافلةٍ كبيرة مع قومها عندما غادروا موطنهم للاشتراك في مأتمٍ كبير من كبراء قومها فلما اقتربت القافلة من مدينة كسلا باغتتها عصابة من قطاع الطرق ونشب بين الفريقين قتال انتهى بوفاة تاجوج .

ويؤكد المؤلف أن ما أورده نعوم شقير وهاروود في مقال له باللغة الإنجليزية وعثمان هاشم من معارك وقعت بين الهدندوة والحمران إنما هو خيال محض لا ظل له من الحقيقة والواقع.

ويذكر البروفيسور عبدالله الطيب في كتابه «الأحاجي السودانية» رغبة المحلق بأن تقف تاجوج زوجته متجردةً أمامه فتستجيب لرغبته قائلة :-

- سأطيعك ولكن شريطة أن تعطيني أي شئ أطلبه منك.

- أنا لا أريد روحك ولكن أريد شيئاً واحداً وسأفعل ما تأمرني ولكن تعدني أمام والدي ووالدك أنك تعطيني ما أطلبه.

ووافق المحلق ووقفت تاجوج متجردة وكان صديقه «همهوم» حاضراً فوق رأس شجرة، ومن شدة ما راعه جمالها وقع من الشجرة وكسر رقبته ومات.

وقالت تاجوج للمحلق : الآن أعطني مرادي.

وقال لها اطلبي ولو روحي

وقالت تاجوج له : لا أريد روحك ولكن أريد الطلاق.

وأحسً المحلق كأن الصاعقة وقعت فوق رأسه وبقيت النار في قلبه، وتذكر أنه عيب كبير في القبيلة أن يعطي وعداً أكيداً ثم يخالفه وطلقها طلقةً بائنة وخرجت من داره.

وحزن المحلق وهام في البلاد كالمجنون وهو يغني بغرامه بتاجوج ويلوم نفسه. ولقد تألم لحاله أحد رجال القبيلة وعطف عليه وقال له :

- تسافر معي على شرط ألا تغني بتاجوج ولا أي إنسان من أول الليل إلى الصباح في ليالي سفرنا إلى بلدها، وأنا قلت للقبيلة إِنَّكَ زوجها وتستحق أن ترجع إليك، فاشترطوا هذا الشرط.

وقال المحلق : هذا الشرط هينٌ وأنا راضٍ به، وسافر المحلق مع رفيق دربه من أول الظهر حتى كاد الفجر يطلع، ونظر إلى الديك نائماً وقال لرفيقه الشيخ صديق

بصوت غناء جهير :

يا شيخ بدو الحمران إيش قلت لي الناس تدور الناس والرب غني.

ونظر الشيخ صديق إلى المحلق بدهشةٍ وحسرةٍ واستمر المحلق يقول :

راقد رقاد الديك فوق الحبل ** عيشاً بلا تاجوج ما بنحمل

وصاح الشيخ صديق في وجه المحلق

ماذا دهاك؟ وهذا الفجر على وشك الطلوع وتلك حلة تاجوج ولكنك للأسف خالفت الشرط ولا أستطيع أن أصنع لك شيئاً وشهق المحلق شهقةً كبيرة وسقط جثةً لا حراك بها.

ووقفت تاجوج تنظر، والتف الناس حولها ينظرون، وجاءت قبيلة معادية فحاربت قبيلتها واختطفوها ثم جعل رجال هذه القبيلة يتحاربون فيما بينهم كلٌ يريد تاجوج لنفسه وخرج رجلٌ شَقِيٌ الوجه، بيده سيفٌ، قتلها، وحفروا لها قبراً، وجعلوا يبكون.

وهكذا نجد ثلاث نهايات مختلفات لحكاية «تاجوج والمحلق» في روايات الأساتذة محمد صالح ضرار والدكتور عبدالله الطيب ومبارك أزرق.

وقفات مع الإبداع الشعري للبروفيسور عبدالله الطيب

أصداء النيل .. وبانات رامه .. وأغاني الأصيل .. وسقط الزند الجديد

هذه هي عناوين الدواوين الشعرية للأديب الكبير الشاعر البروفيسور عبدالله الطيب.

ولمعرفة السمات المميزة والخصائص الإبداعية التي شكلت أهم العناصر، والمكونات النفسية والفكرية والوجدانية للأعمال الشعرية للبروفيسور عبدالله الطيب لابد من النظر فيما كتبه في مقدمة ديوانه «سقط الزند الجديد» الصادر عن دار التاليف والترجمة والنشر بجامعة الخرطوم، إذ يقول عن تجربته الشعرية :

الشعر حبيبٌ إليَّ أنظمه وأترنم به، وأعكف على ذلك عكوفاً، وكان لي أُنساً، وصاحباً وسلوى .. ولقد رثيت به أهلي الذين تخطفتهم المنون، وشكوتُ إليه ما أصابني من مضضٍ، وضنى، وظلم. وجأرتُ به إلى الله، ومدحت به الرسول صلى الله عليه وسلم. ثم رضت مقدرتي على البيان وقد كان ما نظمت منه كثراً.

وكنت مفتوناً بالبراعة العصرية والتجديد أوائل عهدي بفورة الشبيبة وثورتها وتطرفها. وكان من باب البراعة العصرية محاولة الإرباء على الماضين، وكيف يكون الإرباء إلا بتقليد الأساليب التي كنا نقرأها أو نلفت إليها في صناعات الإفرنج.

وكانت دوافع الغيرة الوطنية والنخوة العربية الشديدة الحماسة تدفعنا دفعاً لأن نقبل كلَّ أصناف التحدي .. ننظم المسرحية لنفوق شكسبير، وننظم الملحمة لنفوق هومير، وننظم القصص، وننوع القوافي، ونخترع التفاعيل، ونصنع النظم المرسل. كل هذا نصنعه لنقول للإفرنج نحن مثلكم ونتحداكم، وليسقط استعماركم!

يا لنا من مساكين، ولم نكن، بسبب اندفاع الحماسة آبهين لأن هذا الذي كنا نصنعه قد كان هو عين الوقوع في فخاخ الاستعمار.

وقد أثر فينا الأديب الشاعر عباس محمود العقاد - رحمه الله - فنظرنا إلى الشاعر الإنجليزي «ورد ثورث» وقلنا ما قلنا، وطلبنا الأصالة بتأمل السيال والعشر بدل الزهور التي هي غير موجودة عندنا إلا في يوم عيد الزهور .. ومشينا إليه يا

للعجب، لِنَتَفَهَّمَ «وردثورث» وبعد دهرٍ طويل، تبين لي خاصَّةً أنَّ أبا الطيب المتنبئ أعمق وأجود في وصف الطبيعة من وردثورث وشكسبير أعمق وأجود من وردثورت.

ونجد في شعر الأديب الشاعر الملهم البروفيسور عبدالله الطيب وصفاً رائعاً للطبيعة في قصيدة «خواطر» بديوانه «سقط الزند الجديد» وهو يصوِّر حسن الطبيعة ومباهجها في الدوحة الظليلة الوارفة وأشجار النخيل والبدر والنجوم وأنسام السحر الباكر بقوله :

هيَّأتِ الآفاقُ للشَّاعر	فانبثقَ الإيحاءُ في خاطري
ناجيتُ قلبي وهو ماضٍ إلى	علياءَ لا تُرمَقُ بالناظرِ
يسبحُ من وادٍ إلى قُنَّةٍ	ممتطياً أجنحةَ الشاعرِ
تغمرهُ الأشجار من حسنها	بمثل موج اللُّجةِ الزاخرِ
يبصرُها شتَّى فمن دوحةٍ	صاخبةٍ بالرَّاقصِ الزامرِ
ومن عِضَاهٍ* عضَّها دهرُها	بانت عليها سِمةُ الخائرِ
صامتةً في قفرِها وحدها	تبصرها كالخاسرِ الحائرِ
والعُشب لا يُعْنَى بما حوله	ذو طربٍ يرقصُ للسائرِ
والنخل تياهٌ بما سطرت	أفنانه من منظرٍ فاخرِ
والبدرُ قد أمعنَ في سعيهِ	ونال منه تعبُ السَّاهرِ
خلفَ فروعِ النخل واسترسلت	منه خيوطُ الذهبِ الناضرِ
تراهُ والأغصان من دونه	قد لبست من لونه الزاهرِ
مشاهدُ الحسنِ لهانفحةٌ	مثلُ نسيم السحرِ الباكرِ
ينزلُ هذا السِّحرُ سَحّاً على	قلبي نزول العارضِ الماطرِ
فيسبحُ القلبُ على لُجَّةٍ	ويرتمي في فيضهِ الزاخرِ
لا يعرفُ الحق وأنواره	من لم يطر للعالمِ الآخرِ
فيشهدُ الكون وأسراره	باهرةً كالقبس الباهر

* العضاه : الأشجار ذات الشوك

في كل شـــئٍ حســـنٍ آيةٌ تسخر من عـُــكَّازةِ الساحرِ

تشرقِ في القـلـب وأشجانه في دمـــه الفاترِ والفـائرِ

كم منظـــــرٍ تقرأ فيه الذي لم يُســــتَطَر في كتبُ الغابرِ

***

راحٌ من الخـلـد متى ذقـــتها سبحـــتُ مثل الشبحِ العابرِ

نحو ســـماءٍ كل نجـــمٍ بها من خـــافقٍ بادٍ ومن غـائرِ

يُخبرني الحـــق وأن الورى على طـــريقٍ مظلمٍ جـائرِ

فارجع إلى عـــقلِكَ واستهدِهِ فهو ســـريعُ الطَّرفِ والخاطرِ

وفي حديقةٍ جميلةٍ، غناء، أبصر الشاعر، الدكتور عبدالله الطيب فراشةً زاهية الألوان، براقة، تطوف بمرحٍ وحبورٍ بين الورود والأشجار، فينظم فيها شعراً بقوله* :

فراشـــــةٌ علمها ... سحرُ الربيع المرحا

تسُحُّ فيضَ البشر من .. أعطافها .. والفرحا

تأسو من القلـــوبِ ما كان الزمانُ جرحا

يذكرها القـــلبُ فيبديها العـــيان شبحا

روحاً تناجي الروحَ بسَّـــــامَ المُحيا مَرِحَا

جمالها الغضَّ الطـروب .. الوادعَ المنشرحا

إذ .. هي كالزهرة، ســـاقاها النسيم قدحا

إذ .. هي مثــــــل قبس الله لموسى لمحا!

وفي أشعار الدكتور عبدالله الطيب الوجدانية عواطف حبٍ صادقٍ، ووفاء وإخلاص برغم ما ظلَّ يعانيه من لواعج الأشواق، والحنين والأشجان والأسى، قائلاً في قصيدة «أسى» بديوانه «سقط الزند الجديد» :

لســـتُ للودِّ بناسي لو رعى عهدي أُناسي

ديوان : سقط الزند الجديد – ص٩٨

لي أكــوابٌ من الحزن فقـــلبي منه حاسي
وجراحـــاتٌ من الشوق وما فـــي الأرضِ آسي
بعـــدت عنيٍّ سماءٌ ذات إشفـــاقٍ وباسِ
عشـــتُ في مهزلةِ الأيام وقـــــفاً للمآسي
ليـــس يا قلبي سبيلٌ لاجـــتداءِ والتماسِ
فابـــكِ يا قلبي فقد أفرغـت من صبري كأسي

وبلغةٍ شاعرية عذبة يبوح الشاعر المبدع عبدالله الطيب بحبه ولهفةِ أشواقه وحنينه للحبيب، بعد نأيٍ، وفرقةٍ، واغترابٍ، قائلاً في قصيدة «قمرُ السماء» بديوانه «أغاني الأصيل» ص«٧٩ »:

كيف التجـــلُّدُ يا شكاةَ البائحِ؟
وهواك ملءُ سريرتي وجوانحي
أمَّلت أن ألقــــاك بعد تغرُّبي
وأُسـرُّ منك إلى الجبين الواضح
ولقد شــــعرت وإن قلبي ملهمٌ
أنَّ الحنــين إلى لقائك فاضحي
ولأنتِ أجمـــلُ من رأيت وحلوةٌ
عند الفكاهــةِ والحديث الصالح
والجيدُ منـــكِ أحبه والخد كالـ
مِصْبَاحِ، والعـــينان بحرُ السابحِ
والنفـــسُ منكِ سخيةٌ وأبيةٌ
وعصيَّةٌ ونصيـــحةٌ للناصح
والعشق لم نحـتل عليه بحيلةٍ
منَّا ولكن من عـــطاءِ المانح

إنَّ العــــلاقات التي هي بيننا

تبقى على مضضِ الزمانِ الكالحِ

عودي إليَّ وزوديني مجلساً

يا روضتي تصفو إليك قرائحي

وتذَّوقي الحــــسن الذي لا مثله

في نورِ وجهـــك والذكاء اللامح

إن الكئوس الأريحــــية بيننا

ثملُ الحياة وفوق شرحِ الشارحِ

إني رأيتك في سماءِ صــــبابتي

مشبوبةً بمودتي وتسامحــــي

إن امتزاج العبـــــقرية بيننا

كسر القيود وجازَ صوتَ الصادح

إني لأعلـــم أن وصلك واصلي

بعد الســياحةِ في المكان النازح

بُلي الغـــليل من الضلوع فإنها

حــــرَّى إلى الميزان منك الراجحِ

يا نـــزهة الدنيا ويا قمر السما

وســط الدُّجنة في طريق الكادح

إني سأظـــــفر لا أشك وربما

أبلى ويبلى بعـــدُ كيدُ الكاشح

والشاعر الدكتور عبدالله الطيب محبٌّ مخلصٌ، يحفظ صادق الودِّ والوفاء في فؤاده، ولا يأبه لكلام الوشاة والحساد عن المحبوب، ويقول في قصيدة «قول العواذل» بديوانه «أغاني الأصيل» صفحة «١٤٧» :

تقول العواذل لن ترجعا   وقد كان ذلك لي أوجعا

وإن العــــــواذل يحسدنها ... وكنّ لهــــــا في المدى تُبَّـعا

ألا حبذا الحرة المشـــــــتهاةُ ... التي في الحشـــى حبـها أمرعا

وأذهبــــتِ الكلفةَ التجرباتُ ... التي جعـــــلت حبـها أرفعا

ألا حبذا إذ هـــــــي المُجتلاةُ ... إذ نحن في سبــــحاتٍ معا

ذخرتُ محبـــــتها في الفؤاد، ... قد كان لي ذخـــــرها أنفعا

وقد وجـــــدتني وألفـــيتها ... لحبي أجمعـــــه مربعـــــا

صـــديقة قلبي وراحة نفسي ... ومتـــــعة روحي والمرتعا

وتفسح عمـــري حتى الزمان ... يصـــــير بإشراقها أوسعا

وحتى نكــــــون معاً واحداً ... بشخصـــين هاما ولن يفزعا

ألا حــــبذا جلســـــاتٌ لنا ... مهذبةٌ كوبـــــها شعشعا

تحدثني بفــــــناء الزمان ... وأمن المكــــان وما أودعـــا

فإن كنت تجهـــــلُ أمر الهوى ... فعندي أســــراره أجمـــعا

تعــــــال أعلِّمكــــهُ إنني ... تيقنته وســـــواي ادَّعـــــي

شـــــربت كئوس سلافاته ... ومن شُــــربِهِنَّ فـــلن أُقلعا

أتعـــلم أن الفـــتاة الخلوب ... تضــــمُّ على حبي الأضلعا

وقد أَثْبَتَتْ شخصها في فؤادي ... ثباتاً أقـــــــام فما ودَّعا

ألم ترنــــــــي أبداً مقلتاها ... أمامي فأوشـــــك أن أكرعا

هما احتــــوتاني وأرنو إليها ... فألفيتها بالهـــــوى أبرعا

ومتعبـــــــتان بنضويهما ... إليَّ ودنهــــــــما أترعا

لها بشـــــرٌ مثل ضوء السراج ... إذ زيَّن الحـــــلك البلقعا

تزيد إضـــــاءتها إذ تراك ... إليك وكنت لها مطــــــلعا!

وتغمر وجدانَ الشاعر الدكتور عبدالله الطيب ذكرياتُ الطفولة وبواكيرُ الصّبا بقرية «التميراب» غرب مدينة الدامر ويصوِّر مشاهد طبيعيةً واجتماعيةً تعبّر عن حياة الناس وقلوبهم التقية الطيبة، العامرة بحب الخير والجهاد وذلك بقول الشاعر:

تصـــــوِّرهم ملائكة عليهم　　سماء الحـــزن تنهمر انهمارا

يديمون السهاد وهم مراضٌ　　ويرضون الجهاد وهـم أسارى

وكلمة «أسارى» إشارة لعهد الاستعمار البغيض في السودان .قصـــيدة «حنين» بديوان «سقط الزند الجديد» زاخرة وحافلة بالأخيلة والرؤى ومشاعر الحب والحنين للبلد والأهل والأحــــباب. يقول الأديب الشاعر الكبير عبدالله الطيب فيها:-

أقولُ لخافقٍ في الصـــدر ثارا
ودمعٍ في مـــجاري الخدِ مارا
رويدكـــــــما فدونكما ليالٍ
أتَسطِيعَانِ فيــــهنَّ اصطبارا
تذكرتُ الشـــــمال وساكنيه
وهاتيك المعاهـــــد والديارا
وأهلاً قد هجـــــرتهم طويلاً
وإخـــــواناً أُصيبيةً صغارا
إذا طلعت نجومُ القُطبِ غنَّت
على جنبيَّ حـــــزنهم المثارا
وإن هبَّ النسيم الغضُّ منهم
أثار على شعـــاب القلب نارا
يُردِّدُ ذكـــــرهم قلبي وبيني
وبينهـــــم فلاً يعيي القطارا
أراهم يســـــألون بكل شوقٍ
وصـــبرٍ موشكٍ أن يُستطارا

وصوتٍ تنضـــح الآلام منه

يكاد صـــداه يخترق القفارا

أأرجع نحـــو أوطاني قريباً

أم استعـــذبت بعدهم السفارا؟

كأني بالحـــرازة والسواقي

تُباري الثاكـــلات ولا تُبارى

رويـــدك أيها القلبُ المُعنَّى

أما تنفكُ تؤلمـــني ادِّكارا

تصوِّر لي مـــساكن كنت فيها

أباهي الدهر تيـــهاً وافتخارا

وتذكرني مرابع مشـــرقاتٍ

سقيت بها الصبا صِرفاً عُـقارا

حنان قرابةٍ وصـــفاءَ ودٍ

وأياماً مضيـــن بها قِصارا

وإخواني دمـاً يجري وروحاً

وأمـــثالي لدى الدنيا جِوارا

تصـــوِّرهم ملائكةً عليهم

سماء الحزن تنهـمر انهمارا

يديمون السـهاد وهم مراضٌ

ويرضون الجهاد وهم أسارى

إذا ما كفكفـــوا دمعاً سخيناً

توقف فائضٌ في الجفن حارا

هم شـــركاءُ آلامي وبؤسي

وهم أمـلي إذا الحدثان جارا

وهم سلوى فؤادي في الليالي

إذا سيلُ الشجون طغى وفارا

ألاقي باسماً أحداث دهري
لألبسهم غَدَاةَ غدٍ فخارا
وأسعى مجهداً غاياتِ صبري
لأطفئ من هُمُومِهِمُو أوارا
تذكر أيها القلب المعنَّى
وفض ما شئت دمعاً أو شرارا
وصف لي ما تراه فانت طبٌّ
برؤيا الكون لا تخشى سِتَارَا
أعد لي ذكرياتٍ ممتعاتٍ
مثيراتٍ كأحلام العذارى
وأيام الصبا البيضاء لهواً
وزهواً وانتشاءً وازدهارا
مضت في هوةِ الأيام صرعى
أعدَّ الدَّهرُ تربتها ووارى
زهت كالرُودِ في إشراف أمٍ
تعلمها التلثم والوقارا
وصارت إذ تَوَلَّى حافظاها
تبذل للعيون ولا توارى
أرق يا دهر كأسك لست أدري
أخمراً أحتسيها أم خُمارا
سلبتني المباهج سافراتٍ
وخلفت التخلف والعِثارا
وخلفت الهموم على فؤادي
جواثم لا تُزالُ ولا تُدارى
وَمَلعَب صبيةٍ يلهون فيه
يمثل من ديار الخُلدِ دارا

متى أبصـــرتهم أبصرت فيهم

معاني لا تمـــــاثلهم كبارا

وأطـــــيافاً متى طافت بقلبي

أثار أســـــاه أدمعي الغزارا

فيا صـــــوراً تطل على فؤادي

فتحـــــرقه اشتعالاً واستعارا

أســـــرَّك أنني ثاوٍ كئيباً

بأرضٍ لا أطـــــيق بها قرارا

فيا قومي أيبلـــــغكم دعاءٌ

أردده ســـــراراً أو جهارا

وهل حمل النـــسيم لكم سلامي

وقد حمل الســـحائب والغبارا

وهل تأتيكـــــمو دقات قلبي

إذا ما جُنَّ من شـــــوقٍ وثارا

وهل تدرون مـــــاذا في فؤادي

من الآلام أحبســـــها اقتسارا

تمثلكم لي الأحـــــلام ليلاً

وتبعثكم لي الذكـــــرى نهارا

وقد اعترت الحيرة والأشجان والأسى قلب الشاعر الكبير الدكتور عبدالله الطيب فادلهمَّت الدنيا وأظلمت أمام ناظريه فلم يعد يطمئن لتصاريف الزمن حتى غدا يخشى الصاحب والعدو وذلك بقوله :

أراك تحـــــب الفضاء الخلاء

وتحـــسب كل عـــــذيرٍ عذولا

فمالك؟ أفــرَقُ* ممـــــن أرى

فأخشى العدو وأخشى الخليلا

* أفرقُ = أخاف

وما أصعب الحياة وما أقساها على النفس المرهفة إذا أضحى الضياء شبيهاً بالظلام.

وبرغم الإحساس العميق في وجدان الشاعر عبدالله الطيب بحب الزهر وسنا الفجر والرياض الحسان إلا أن قلبه قد أضناه الجوى وبراه الهوى ولواعج الشوق وتباريح الصبابة وهو يقول في قصيده «مالك؟» بديوانه «سقط الزند الجديد» :

أراك تطيل الأسى والذهولا

وتسبح في الهم سبحاً طويلا

فمالك؟ في كبدي لوعةٌ

تساقطُ نفسي قليلاً قليلا

أراكَ تُحبُ الفضاء الخلاءَ

وتحسبُ كل عذيرٍ عزولا

فمالك؟ أفرقُ ممن أرى

فأخشى العدو وأخشى الخليلا!

أراكَ تحب الرياض الحسان

ملأن الرُبى وملأن السهولا

وزهراً تبسم والفجر لاح

فزَّف إليه النسيم العليلا

ترتل شعر الغرام الرقيق

وتلحن لحن الغرام الجميلا

فكيف وأنت عرفت الهوى

مُحَيًّا نضيراً وقلباً نبيلا

وطلعةَ حسنٍ تباهي الصباح«م»

يغشى الرُّبا والنبات الخضيلا

ولحظة دهرٍ تتم الحياة

فتحسبها أبداً لن تزولا

ولحظــــاً ثواباً ولحــــظاً عقاباً

ولحظاً رقيباً ولحظـــــاً رسولا

ووسوسة الوهم يزجـــي الأماني

جنداً يرود الرعيل الرعـــــيلا

فكيف وجدت الهوى؟ هل نعـيماً

تلذُّ به سلســـــلاً سلســـبيلا

أم الحب نارٌ تذيب الضـــلوع

وتترك فـــــي كل قلبٍ غليلا

فإني لم أعــــرف العاشقين

إلا وهم يذكــــرون الطلولا

وعهداً نضـــيراً من السعد حالَ

وقد جاهــــدوا الدهر ألا يحولا

وإلا وهُـــــم يذكرون الجوى

وليلاً من الهـــــم يزداد طولا

وفي حزنهم نشــــوةٌ كالمدام

تهيج الأســـــى وتذيب العقولا

كأن الهـــــوى حين يشتد لا

يغادر ذا الحــــبِ إلا قتيلا

فصِف لي الهــوى إذ عرفت الهوى«م»

وإلا فمالك نضــــوا نحيلا

براني الهوى حـــين ساقيته

كئوس الصـــبابة دمعاً همولا

وأبصر في همســـات النسيم

شكولاً من الشــوق تزجي شكولا

هو الحـــب مثل عزيف الرياح

أمســـت مع الليل عبئاً ثقيلا

ومثل الصـــباح نضير البشاشة

يلمــــس من كل قــــلبٍ قبولا

عرفت الهوى مثمــــلاً كالمدام

وقاسيت منه السمــــام الثميلا

وفي مدينة لندن اشتد أوار الشوق وبرَّح الحنين بقلب الشاعر الدكتور عبدالله الطيب وهو يذكر الوطن والنيل والأحباب والقماري ومجالس الأنس والسمر في ربوع بلاده الحبيبة قائلاً في قصيدة بعنوان «في لندن» بديوانه «سقط الزند الجديد» :

ذكـــــرَ النيل وأحباباً به

نازحٌ في لـــــــندنٍ مغتربُ

الأصيل الطــلق يستوحى به

الشعــــر في عليائه والطرب

والقمـــــاريَّ تغنين ضحا

بين طـــــيرٍ لحنهن الصخب

واللواتــــي قد تعلقن فؤادي

أنا صبٌ بعـــــدهُنَّ وصب

أتملاهنَّ طيـــــفاً في الكرى

طارقاً يســــــقم مما يهب

وأراهنَّ عِيـــــــاناً كلما

خدعت قلـــــبي طيوفٌ كذب

وتذكرت أخـــــــلائي ومن

ساعةِ الجـــــدٍّ لهم أنتسب

سامرٌ ينشـــــر في سامرهم

سندس الفـــــن ويحيا الأدب

حسبتني ناســــــياً عهدهمو

أي شيءٍ بعدهـــــم أكتَسِبُ؟

إنهم ركـــني وهم حصنُ زماني

وهمو الغـــــايةُ والمطلَّب

نيلهم عـــذبٌ وفي دار رضاهم

بين آمـــــالي ربعٌ خصبُ

وتخيَّرتُ صـــــحاباً كراماً

كلهـــم عنـــدي أمٌ وأبُ

يا هـــوى النفس هو الحب وكم

أشـــعل الجدَّ العنيف اللَّعب

فاطلـــبي العيش بنفسٍ لا ترى

فيه شــــيئاً غير ما ترتغب

أي شـــــيءٍ هذه الدنيا إذا

حجبت قصــــدك فيها حُجُب

وتريثت علـــــى خوفٍ بها

حين كـــان العزم مما يجب

وتدانيت علـــــى رفقٍ بها

وأراها أوشــــكت تنجذب

جنحت راجفـــــةً فانبهرت

فهي مثل الثـــلج جسمٌ صلب

أين ميل النفـــس للنفس إذا

كان فيـــــها من غرامٍ سبب

أم ترى بين خــــفايا قلبها

رعبٌ يَفـــــرَق منه الرعب

فتـــــسلَّيتُ على وجدٍ بها

فكأني صــــــابرٌ محتسب

وفي أهزوجةٍ عاطفية رقيقة تشفُّ عن رهافة حسٍ وشفافية نفسٍ وصبابة قلبٍ

مُدنفٍ ومولعٍ بحب الجمال .. وتتجلى كل هذه المعاني في صورة شعريةٍ زاهيةٍ قشيبة أجاد رسمها بالكلمات شاعرنا المبدع البروفيسور عبدالله الطيب في قصيدة «الرتاج المردود» بديوانه «سقط الزند الجديد» وهي من أشعاره الوجدانية التي نظمها في عام ١٩٤٠م وجاء فيها قوله :

أمن خجلٍ ردَّ الرتـــــاج وأجفلا
حثيثَ الخُطـــــا يا ليته لو تمهلا

تفلَّت مذعوراً ولكن ذعـــــره
أصاب بلا قصدٍ بجـــــنبيَّ مقتلا

بدا كنسيم الصبح أخلصـــه الدُجى
يُعارِضُ وجه الشمـس جذلان مُثمِلا

وولَّى كعصف البحـر إذ هاج موجه
كأنَّ به من هـــــزة الريح أجبُلا

يصوِّره الوهـــــم المعلَّل في الكرى
ويبعده صدق الصــباح إذا انجلى

هل الحُسنُ ما يلقى العيون بنوره
فتتبعه حـــــتى تَعِلَّ وتنهـــلا؟

أم الحُسنُ ما يغشى القلوب بسحره
فتوشـــــك منه أن تضلَّ وتذهلا؟

لقــــــد قدَّس الله الجمال فبثه
ليدني مـــــنه الناظر المتأملا

فبوركت مـــــن نارٍ تذيب ضلوعنا
ونكثر إخـــــباتاً لها وتبتلا

على كل ســــهلٍ زهرةٌ ذات بهجةٍ
تفتح مغــــنىً في فؤادي مقفلا

وروضٌ متى ألقى على الطرف حسنه
سقـــــيت به قلبي رحيقاً مغلغلا

وَبَدرٌ مـــــضيءٌ قد وددت دوامه

ليمحو ليـــــلاً بين جنبيَّ أليلا

أبيت بذكرى الحسن نشوان جاذلاً

وأرنو إليه خاشـــــعاً متذللا

أقلب طـــرفي خائفاً أن يصيبني

من الحـــسن نورٌ ثم يرتاع مجفلا

تمرُ الوجـــوه النُضرُ ينفح عطرها

فنســــــتافه شوقاً كأنَّ به طِلا

وتُعـــرِضُ عنا بعدما تركت بنا

جراحـــاً ولم نبلغ بها بعد مأملا

أقول لقـــلبي وهو هيمان حالمٌ

ألســت ترى ستر السعادة مسدلا

وإِنَّ النعيم الحلو في نشوةِ الصبا

أعزُّ مكــــــاناً أن يذلَّ ويهملا

والوفاء .. والإخلاص ونقاء السريرة من أبرز سمات وخصال الأديب العالم البروفيسور عبدالله الطيب وفي أعماقه حبُ الخير والمروءة والكرم والمعرفة والنضال في الحياة من أجل الرزق الحلال ويصبر على كيد الأعداء والمكاره حتى ينتصر عليها بعون الله تعالى، ويثني على والده ثناءً عاطراً لحسن تربيته ورعايته له وذلك بقوله في قصيدته «الشعر والنقاد» بديوانه «أغاني الأصيل» :

هو الشعـــــر فانظم لا تبال بناقد

وشعــــرك فيه حرٌّ أنفاس واجد

خليــــليَّ لم أبرح أحنُّ إلى الصبا

حنيــــناً وما ذاك الزمان بعائدِ

وقد ذقت مـــن بعد النضال سآمةً

ولا زال حـــب الخير كسبي ورائدي

ومات أبي في الأربعـــين ولم يعش
أخي بعده واستـــقبل الدهر واحدي
وزارت ســـليمى تشرئب بجيدها
زمانَ هي الغـــراء بين الخرائد
وما نلت منها غيـــر وحي ودادها
إليَّ برنـــات القوافي الشوارد
وغير طـــيوفٍ من ترائي جمالها
إليَّ بلَّباتٍ وإشـــراق ساعد
حبست دموعـــي واستكنت من الأسى
إلى عبرات الثـــاكلات الفواقد
تذكرت أيام الطـــفولة حينما
يعلق بي آمـــاله الغر والدي
وإذ أدركتهُ علة الموت خـــاف من
تَغُوُّلِ أعداءٍ عليَّ وحاســـد
وحذرنيهم معشرٌ بعـــد موته
كثيرٌ وكان الله بالعـــون رافدي
وكان أبي يا عطَّـــرَ اللهُ ذكره
فريداً وبـــين الناس جمَّ المحامد
وكان يلاقـــيني بأتبرةٍ لدى الرصيف«م»
على ضعـــفٍ به متزايد
ويعـــذلني إذ لم أزره كأنني
أراه ينـــوء للقيام بقاعد
يعلمـــني علم المروءة ناشئاً
وفي قلبه حـــبي وعرفان واعدي
وكنت صغـــيراً جاهلاً غير آبهٍ
لما خـــبأته من صروفٍ مشاهدي

ومنشرحٌ صدري إلى الناس كُلهمِ

وغير خفياتٍ عليهم مقاصدي

وكنت أظن الأصدقاء عشيرةً

وأحسبهم كنزاً عظيم الفوائد

فأيقظني مرُّ السنين وزادني

عن الورِدِ من كأس الحداثة ذائدي

وجربت أصناف الخيانة والتوى

بي الأمر حتى سامني بيعَ كاسد

وقد حفَّ بي أهل المكايد وانطوت

أناسٌ على بغضي بشحناء جاحد

يريني منهم يومهم مثل أمسهم

وأدعو عليهم والمهيمن شاهدي

وأصبر على المكروه حتى أذيبه

وأعلم أن المرء ليس بخالد

وأقتحمِ الحصن المنيع بهمةٍ

تُمَدُّ بتأييدٍ من الله وافد

وأَلتمس الركن الذي عنده القوى

براحة ذي قلبٍ إلى الله عامد

يلومونني حين التزمت سجيةً

من الصبر إن الصبر، زاد المجاهد

وأَسأَل ربي أنَّ سيِّئَ مكرهم

يحيق بهم أهل الخنى والمكايد

وأن يأتي الله البناء الذي بنوْا

من السقف حتى خرَّ فوق القواعد

وفي قصيدة رمزية يعبر فيها الأديب الشاعر عبدالله الطيب عن أشواقه وحبه للوطن وقد هيمن على مقاليد الحكم فيه الغزاة المستعمرون خلال فترة زمنية تنيف على الخمسين عاماً وقد أشار إليها الشاعر بقوله في قصيدة «الليل الطويل» بديوانه «أغاني الأصيل» : ما الذي نرقـــبه بعد خمســين«م» إذا ما نحــــن خفنا الرقيبا

وفي القصيدة إشارةٌ واضحة للدعوة أو بالأحرى المطالبة التي وجهها بعض زعماء الطائفية «السياسية» لحكومة الإمبراطورية البريطانية في «سفر الولاء»* لاستمرار الحكم الاستعماري في السودان حتى يبلغ الشعب السوداني سن الرشد! وكان الشعب بحق قوياً وواعياً وراشداً قبل ذلك بوقتٍ طويل عندما هزم جيش الإمبراطورية البريطانية والسلطة التركية في أواخر القرن التاسع عشر بقيادة الإمام المجاهد محمد أحمد المهدي مؤسِّس دولة الثورة المهدية الإسلامية في السودان « ١٨٨١م-١٨٩٨م» وقد أشار شاعرنا الكبير عبدالله الطيب إلى تطور الشعب السوداني في قوله :

قد تطـــــــــــورنا وخلنا بأنَّا إن تطـــوَّرنا سنرضي الشعوبا

طــــال هذا الليل يا خالق الليل وإنا قـــــــــــد وجدنا اللُّغوبا

وهذه هي القصيدة الرمزية الوطنية التي نظمها الدكتور عبدالله الطيب في عهد الحكم الاستعماري البغيض في السودان ١٨٩٨ - ١٩٥٥م :

قد تذكـــــرت الفتاة الخلوبا

أصـــــبح القلب إليها طروبا

ما تَســـلَّيتُ بأسفـــارِ جَوٍ

ثم بحرٍ وسئمـــــت الدروبا

حَزِنَ القلـــــب لطول اشتياقٍ

إن طول الشـــوق يُشجي القلوبا

ليت شعري حين أصـــبو إليها

هل تخطـــيت إليها الغـــيوبا؟

---

* سفر الولاء : رسائل الولاء لبريطانيا من بعض زعماء الطائفية - محفوظة بدار الوثائق بالخرطوم

ما الذي نرقـــبه بعد خمـــسين

إذا ما نحـــن خـــفنا الرقيبا؟

قد شكـــونا العشـــق سراً وأبدينا

إلى الواشـــين ركـــناً صليبا

ورأينـــا عرض بحـــرٍ ركبناه

وجزناه وسَبـــحاً رغيـــبا

يا رنين الشـــعر يا صيحة الطائر

يا ســـلواي ... فرداً .. غريبا

يا أمـــاني وآهاتِ صبي

وصـــلاتي .. وقتالي الحروبا

ودعـــائى آخـــر الليل لله

وقرآني لســـاني رطـــيبا

قد تطـــورنا وخـــلنا بأنا

إن تطـــوَّرنا سنرضـــي الشعوبا

طـــال هـــذا الليل يا خالق الليل

وإنـــا قد وجـــدنا اللغوبا

وبنـــو الإفك لهـــم سيطراتٌ

أعجـــمياتٌ وكـــنا عريبا

إن ذات الخـــال كانت عزائي

وهي حبي وعســـى أن تثوبا

وهي إلهامـــي وأوتار شعري

عندها وهـــي تراني الأديبا

أجمل النـــاس وتحكي بإشراقةِ«م»

رؤياها الســـنا واللهيبا

وحنيني للـــقاءات ليلاي«م»

أراني ضيق دهـــري رحيبا

ويرفع الشاعر عبدالله الطيب راية الجهاد عالية ويلوِّح بها وهو يمتطي صهوة جوادٍ عربيٍ أصيل قائلاً في قصيدة «الشهادة عيد» بديوان «أغاني الأصيل» :

يا أمَ بـــــدرٍ إنني لشهـــيدُ
ولقد أقـــاتل والشهادة عيـــدُ
إن الوصـــوليين لما أجمـــعوا
أمراً عليَّ صـــنيعُهم مشـــهود
ولقد دعوت وفـــي يمـــيني رايةٌ
والصافنات لواؤها معقـــود
هل نام قومي عن حفيـــظة دارهم؟
أم يسمعون فللحفـــيظة نودوا؟
ليقاتلوا دون الحـــقوق فإنهم
عربٌ وقـــد ندبوا لـــها ليذودوا
نَصرتكَ زاكية الجـــنان، نبيلةٌ
عذراء، فارسُ خيلها صـــنديد
والحاسدوك ترابُ عـــادٍ فيهم
يغشى الوجوه وفي القلوب صديد
ودعوت في اللـــيل البهيم عليهم
ليبيدهم ربُ السَّـــمـــا فأُبيدوا!

وفي قصيدةٍ رصينة بعنوان «مع ابن زيدون» في ديوان «أغاني الأصيل» يصوِّر لنا الشاعر الكبير الدكتور عبدالله الطيب بأُسلوبه الشعري البليغ وخياله المجنَّح لوحةً فنية زاهية لولاده بنت المستكفي محبوبة ابن زيدون وهو «أحمد بن عبدالله المخزومي» ١٠٠٤م – ١٠٧٠م كان وزيراً، وشاعراً مجيداً من شعراء الأندلس وكانت له منزلة عالية مرموقة بين الأمراء لمواهبه الأدبية ومعرفته بأحوال المسلمين في الأندلس ويهيِّئ لنا الشاعر عبدالله الطيب أجواءً بديعة رائعة مزدانة برؤى المباهج والحسن والروعة والجمال في حضرة ابن زيدون وولادة وأسماء بقوله :

لأســــــماءَ نارٌ في فؤادي تشبُّها

وقد علمـــــــت أسماء أني أحبها

وما فتئـــــت أسماء من أحسن المنى

إليك ترائيها لديك وقُـــــــربُها

ولا زال في ذا العيـــــش زاداً ومتعةً

لقاؤكـــــــها حتى تمنَّاك قلبها

بما هي للعيـــــــنين بهجة منظرٍ

وللقلـــــب كأسٌ يُثمِلُ العُمرَ شُربها

محاسنها شتــــــى وإشراق وجهها

تضيء به الدنـــــيا وتنجاب حُجبُها

وفي فمها الحـــلوى وفي جيدها الحُلى

وفي طـــــرفها ظَرفُ السُلافِ وعَبُّها

بعيدةُ مهـــــوى القرط زاكية اللمى

أثيثة فـــــرع الرأس خدلٌ خِدبُها

من الغـــــانيات البارعات ولم تكن

لعمرك في الغـــــادات أخرى تجبها

نعمنا بها حــــيناً من الدهر طيباً

يفوح علينا مجتـــــلاها وخصبها

وأســــــماء ترنو كالغزال وربما

أراك ابتساماً حـــــاجباها وهدبها

وفي شفتيها دُكنةٌ خـــــلت عندها

محاجر عينيها تحــــــدَّر غربها

أقولُ وقد زال الشـــــباب وقد بدت

من السن في رأس ابن خمسين شهبها

وقد جاء جيل بعدنا وتصـــــرمت

حبال الهوى هيهـــات ليلى وتِربُها

تصرم أسبـــــــاب الهوى وتقطعت

وسائله والبيـــــــد قد خفَّ ركبها

ألم ترني حـــــــاربت حتى كانني

لكل رحـــــىً دارت من الحرب قُطبُها؟

وأعـــــجبني صدق ابن زيدون وَصفُهُ

شكية شـــــوقٍ كان أعياه طبها

تعشَّـــــقَ من ولادةَ ذاتَ سطوةٍ

سجيتـــــها خلب العقول وسلبها

وقد صـــــاغها الرحمن مسكاً وغيرها

من الطـــــين جلَّ الله ذو الطول ربها

لها بَشَرٌ مثل اللُّجـــــين وشعرها

من التبر هيفا مفعـــــم الردف شطبها

سلـــــيلة مُلكٍ لم يحـــــدَّ غرورها

بحدٍ ولم يجـــــنح إلى اللين صعبها

مطـــــهمةٌ غـــــراء فاتنةُ الرؤى

ونادرةٌ قـــــد عزَّ في الناس ضربها

أحبته شيئاً ثم أعـــــطته هجرها

وجندله من آل مـــــروان عَضبُها

وعلمه صدق الصـــــبابة والهوى

شكيمتها ذات النضـــــال وجذبها

له حر أنفاسٍ من الوجـــــد صاعدٌ

روته عروضٌ من بـــــسيطٍ وضربها

وتلك هي النونيـــــة الفذة التي

تغنى بها شـــــرق البلاد وغربها

وجـــــاراه أقوامٌ ولكن شأوه

بعـــــيدٌ وأنَّي خطو قومٍ ووثبها

ومات ابن زيـــــــدون حزيناً مُبْعَدَا

وقد شـــــطَّ من ليلاه بالموت شعبها

وما الحـــــب فاعلم بالذي هو خالدٌ

ولا الحســـــن سل ولادةً كيف خَطبُها؟

وفاء ابن عـــــبدوس لها كان آيةً

وغـــدرُ ابنِ زيدون بها وهو صبٌّها

وينافح الأديب العالم البروفيسور عبدالله الطيب عن اللغة العربية لغة القرآن الكريم ويذود عنها كذود الغضنفر عن عرينه! وها هو الشاعر الكبير الدكتور عبدالله الطيب يحدثنا عن لغة الضاد حديث الحب والتقدير والإعزاز في قصيدته «اللغة العربية» قائلاً في صفحة ٨٩ بديوانه «سقط الزند الجديد» :

قد بلغـــــت قبل أن يسود بها«م»

الإســـــلام ما فيه عزة العربِ

ألا ترى منطـــــق الوفود لدى

كســـرى وما زوّنوا من الخطب؟

ما فخـــــروا بالرماح تخطر في«م»

الحـــرب ولا بالصفائح القطب

بل بالفـــصيح الفصيح من جوهر«م»

القول المصـــــفّى المهذّب الذرب

شعـــــر امرئ القيس في تدفقه«م»

السمح ووصـــف الحسان والطرب

والخيل والصـــيد والتمتع باللذات

بين الريـــاض والكُـــتُبِ

وخـــاطب الليل وهو أرعنٌ جَلْسٌ«م»

ناشـــــر الذيل باسط الحُجُبِ

وأبصـــر المُزْنَ في السماء فحياه«م»

بشعـــرٍ كالمزن منسكـــــب

وما زهــــيرٌ وما البليغ أخـــو

ذُبيانَ لما أحـــسَّ بالرهـــب

دون امرئ القيــــس بل هما عَبَدَا

الشعر وحاطـــــاه حوط مرتغب

وفي قريـــــشٍ القريض والغزل

السامي وقــــومٌ للجِدِ واللعب

وأين نجدٌ نجـــد النسيب تهادت

بالضحى في ثيـــابها القشب؟

أين صـــــباها ووُرقُها هتفت

فحــــركت كل عاشقٍ وصبِ؟

وكيــــف ريًا رياضها سحراً

من بعد حـــنَّانةٍ من السُحُب؟

وهكذا الضـــــاد سايرت أعصُرَ

الدهر فلم تنتقـــص ولم تشب

واخـــــتارها الله كي تكون له

حفظاً فكــــانت فضيلة العرب

ولعميد الأدب العربي الراحل الدكتور طه حسين مكانةٌ خاصة عزيزةٌ وحبيبة في نفس الأديب الشاعر الدكتور عبدالله الطيب وقد نظم رثاءً مؤثراً يعدِّد فيه مناقب ومآثر الأديب الكبير طه حسين قائلاً :

ثوى الحَــــبرُ طه لدى ربه

وخلدَّه اللــــــه في حزبه

وكان لعمـــري عديم النظير

ومنذا الذي كـــان من ضربه

وكان شجــــاعاً وكان جريئاً

وكان ذكـــــياً وأعظِم به

وأســـلوبُه يسحـَـرُ القارئين

ويخـــلص للمــــرءِ في لُبهِ

شُغِفـــــنا به في زمان الصبا

وذقـــــنا التذوق من عـــذبه

وقد كـــــــان فذاً وجيلاً بنى

بما قــــــرأ الناسُ من كتبه

وكم قلَّد النـــــــاس أسلوبه

ومنذا يطـــــــول إلى هضبه؟

وينســــــابُ مثل انسياباته

وينهـــــــلُّ مثل حيا سحبه

وقد نال شـــــدة أسر القديم

وكان الجـــــديد إلى جنبه

ولا نثر أســـلس من نثـــــره

وسهل الكلام ســـوى صعبه

وبالعـــــلم قد ورث الأنبياء«م»

والفـــــن كان رحى قطبه

وكان عمـــــــيقاً بإيمانه

وشـــــــاهدُ ذلك في قلبه

وقد كـــــــان حراً بتفكيره

ومتقد الحــــسِّ في خصبه

لم يكن الزيـــــــف من دهره

ولا مَــلَقُ الناسِ من طـِــبِهِ

يشـــــــعُّ عليك بإشراقه

مهيب الجـــــلالةِ في قربه

لطـــــيف الدُعابةِ حلو الحديث«م»

وســـــل في الخطابة عن خطبه

تدَّفقه ونــــدى صوته

وإسمـــاحه، وقـــوى جذبه

فصاحةُ سحـــبان في سَمته

وقسٌ الإيـــادي في ثـــوبه

وأحيا لنا الجاحـــظ العبقريَّ

بإبداعـــه ومـــدى وثبهِ

ومثلُ المـــعريِّ لكـــنَّه

أضافَ إلى الشـــرقِ من غربهِ

وراد لنا نهضـــــةً لا نزالُ

نســـلكُ فيهـــا على دربهِ

عرفــنا به الأدبَ الجـــاهليَّ

وصـــدق الروايةِ من كِــذبهِ

وعلـــمنا فهم نهـــج الجزالة

حتى ثبتـــنا على حـــبه

قرأنا تصـــانيفه فاستفدنا

بعبٍّ الســـلافةِ من شـــربه

وقد كان بـــعدُ شديدَ المراس«م»

مُرَّ الشكـــيمة في حـــربه

كذاك يكـــون الأديب الأصيل«م»

الذي طـــلب الحـــق من دأبه

وقد زرت مصـــر رجاء اتصالٍ

به وانتســـابٍ إلى رحبه

ونوَّه بـــي بين أهل الحِجا

أيجزيه عنـــي، سوى ربه

وعاداك قـــومٌ بإحسانه

إليك ورامـــوا إلى ثلبهِ

وقد كـــان طه كـــثير الحـــياءِ
رقـــيق العـــبارةِ في عتبهِ
ويعرضُ إعـــراضَ حلم الكريم«م»
عمَّـــن يريد إلى ســـبِّهِ
ويبســـمُ حتى ضياء البصيرةِ«م»
تُبصـــرهُ العينُ من صـــوبهِ
وقد كان مُلتزمـــاً بالوفـــاءِ
وحســـن الثناءِ على صحـــبهِ
وكان حـــبيباً إلى شعـــبهِ
ويأوي الأديـــبُ إلى شِعْبـــهِ
وأحزننـــي الناسُ لما نعـــوهُ
إليَّ ومجـــديَ من ســـيبهِ
يعيبوننـــي حين أثنى عليَّ
بخـــيرِ أفضلِـــيَ من ذنبه
وإن دموعـــي هذا القريضُ
ولســـت أُفتَرُ من سكـــبه
وأطـــربهُ حين أنشـــدتُهُ
قريضـــي وهشَّ إلى ضربهِ
وقد قال إنك أشعـــرُ مما
تظنُّ كثـــيراً ولم أُنبهِ
وأثنى علـــيَّ الثناء الذي
يموت عـــدوٍّي من غِبِّه
فلا تأسَ قـــلباً على حاسدٍ
يعيـــب، وذلك من عيبه
وحســـبك طه وإقباله
عليك وكـــان فتى عُربهِ

وفي جـــنةِ النفرِ الصــالحين

مضجــع طه لدى ربـــهِ

فجادت ثرى قـــبرهِ رحمةٌ

وسحٌ رضـــا الله في تُربه

قرينة طــــه فلا تحزني

فإنك شـــاركت في كسبهِ

بحبك إيـــاهُ قد كان طه

مع الفــــن يأمنُ في سربهِ

فذاك عـــزاءٌ وكل الورى

يســـوقهم الموت في ركبه!

أبيات مختارة من أشعار البروفيسور عبدالله الطيب

قال الشاعر عبدالله الطيب في شان الإمام المجاهد محمد أحمد المهدي في ديوانه «سقط الزند الجديد» :

أيام غردون تخطَّــــف شِلوَهُ
أرماحُ خـــــيل الألمعي الأروع

القائـــمُ المهدي نبراسُ الدجى
واري العزيمةِ كالحُســام الأقطعِ

قد بشَّـــرت آباؤنا بقدومــهِ
لما رأت أشـــراطه في برقـــعِ

واستشـهدوا في عصرهِ ولديهمو
سِفرُ الهــدايةِ ذو المكانِ الأرفعِ

● وجاء في ديوان «أغاني الأصيل» يصف القمر وهو عنوان قصيدة في هذا الديوان :

أما رأيت القمر .. في الأفق لما بهر
إنَّ ادِّكارَ الفتاة سبب هذا السهر
وإنها غـادةٌ ... أجملُ كل البشر!

● زيارة

اتت من غيرِ ميعادِ بما عزَّ من الزادِ
بوجهِ ناضرٍ من أوجهِ الجنةِ وقَّادِ
وعيناكِ غديران وفي بحبوحة الوادِ!

«ديوان أغاني الأصيل»

● دار الحبيب

مررت على دار الحـــبيب أعاودُ

مودته والذكـــــــريات أناشِدُ

وخبَّرني قلبي الذي يُبصرُ الرؤى

ويعرفـــــــها أن الحبيب لعائد

وما هـــــذه الدنيا بدارِ سعادةٍ

ولكنها فيهـــــا الأسى والشدائد

وما العمـــر إلا ساعةٌ بعد ساعةٍ

وما تجـــــربات المرء إلا مشاهد

«ديوان أغاني الأصيل»

● دعاء

سألتُ الله وهو يجيب سولي

ولم أنس التوســـل بالرسولِ

ألا عجِّل بنصـــرك وانتزعهم

بكفِك إنهم أهـــــلُ الغُلولِ

ألا قد جاء نصـــرك وهو نورٌ

وقد ذهب الغُـــثاء مع السيول!

«ديوان أغاني الأصيل»

● لهو الصغار

ألست ترى بهجـــــةَ السبسبِ

ولهو الصغـــــار على الملعبِ؟

وزقزقة الطـــــير بين الغصون

ولحن المرجِّـــــــع والمطربِ

وغزلان سهـــــلِ رعين النبات

وهمن علـــــى الكلأ المعشب

وماء الغدير صـــــفا فاستبانت

على وجهه صـــــورة الكوكب

«ديوان سقط الزند الجديد»

● ذكرى

أتذكـــــر المولد ... والمُدَّاحـا

ساعـــــة قمريٌّ الديار ناحا

فاشرب على ذكر الحبـيب الراحا

واســكب عليها دمعك السَحَّاحَـا

«ديوان أغاني الأصيل»

نماذج من شعر الرثاء .. والفرنجة
والعامية السودانية في كتاب «ذكرى صديقين»

في كتاب «ذكرى صديقين» للأديب العلامة الدكتور عبدالله الطيب حصيلةٌ جيدة منتقاة من الشعر العربي والأوروبي والسوداني فصيحهِ ودارجهِ إلى جانب متفرقاتٍ متناثرة من ذكريات المؤلف وخواطره وملاحظاته النقدية الجادة والطريفة حول شتى القضايا والمواقف والرؤى والأفكار ومن طريف الخواطر ما سجَّله من أبياتٍ شعرية تحت عنوان «من سلال اللا معقول» قائلاً :

حكايتي جميله ... أمثالها قليله ...
كلُ امرئٍ منا يُحبُ جيله ...
حكايتي قصيره .. أمثالها كثيره ...
كُلُّ امرئٍ منا يُحبُ دُورَه ...
قد قلتُ لما انتظم القطار ...
في سيرهِ ونأت الديار ...
هل عُمرنا جميعُهُ ... أسفار؟
بل عمُرنا يا صاحِ ... مضى مع الرِّياحِ
ولم نُصِب في العيشِ من نجاح!

وقد أورد الدكتور عبدالله الطيب في كتابه أبياتاً شعريةً بالعامية السودانية تُحاكي وزن «الجابودي» الذي يُحرِّكُ حنينَ القلب، وَسَمِعَهُ المؤلِّف في دار أهله بالدامر، وأصل «الجابودي» هذا «حسَّاني» ومن شاءَ حذا عليه، بالفصيحةِ أو الدارجة وهذه هي الأبيات :

بحر الدميرة زايد ... قالوا الحبيِّب راقد
راقد مرضـــــان وأنا عندي ليهُ قصايد
غنـــي لي يا ربابه فريع البان حبابه
هوي يا فـقير قـــــوم علِّب التُّقابه

توب الزراق مو غالي «أي ليس غالياً»
وحديث خشيمكم حالي
حبيب قساي بالريده شاغل بالي
قالت لي بيخشيما «أي بفمِها»
ريدتك معانا ديما
حبيب قساي فيك نفسي ما بلوما

ويُعلّقُ الدكتور عبدالله الطيب على شعر «العامية» قائلاً : إن العامية في كل بلد عربيٍ لغتهُ وعاميةُ السودان قريبةُ النسب والروح من الفصيحة وفي الناسِ الحسدُ كثيرٌ فعلينا أن نحترس من أن يُفسِدَ بعضهم علينا سلامة لهجتنا العامية باسم العصرية والتحدث.

ونبارح أجواء العامية السودانية وننتقل مع الأديب الدكتور عبدالله الطيب للالتقاء بالشاعر الإنجليزي الشهير «بيرسي شيلي» في قصيدةٍ رومانسية رقيقة عن الرياح الغربية قائلاً في ترجمته للقصيدة :

لو... قد كنتُ ورقةً يابسةً حتى تحمليها
لو .. قد كنتُ سحابةً خافّةً حتى أطير معكِ
أو ... موجةً تلهثُ تحت صولتِكِ وتُشارِكُكِ
في دوافع سطوتكِ وقوتكِ على أنها دونَكِ
في الحريةِ والانطلاقِ أيتُها المنطلقةُ فوق كلِ القيود
لو .. قد كنتُ كما في صباي
واستطعتُ أن أُرافق طوافكِ في آفاقِ السماءِ
وكما ... حينئذٍ .. عندما كان .. أن سبقَ سُرعتَكِ
الجويةَ أمراً غير متصوَّرٍ في خيالي
ما كنتُ – إذن – لأجتهد كما أفعلُ الآن
بالتضرُّع بالدعاءِ لكِ في ساعةِ احتياجي الماسة

أُناديك لتناجيني كموجةٍ ... كورقةٍ ... كسحابةٍ
فاقعُ فوق أشواك الحياة .. ودمي يسيل

ومن الذكريات الأدبية التي يرويها الدكتور عبدالله الطيب في كتابه «ذكرى صديقين» ما يتَّصل بمنتدى صحيفة «صوت السودان» من محاوراتٍ ومساجلاتٍ شعريةٍ بين لفيفٍ من الشعراء والأدباء في أربعينيات القرن العشرين.

ويحدثنا عن هذا المنتدى قائلاً : لقد كانت دار صحيفة «صوت السودان» منبراً لمساجلةٍ من ضرب أسلوب النقائض – مع حلاوة كثيرةٍ ومُفاكهةٍ – بين الشاعرين عبدالله حسن كردي وصالح عبدالقادر – رحمهما الله .. وكانت لنا ، أي الشاعر محمد المهدي مجذوب والدكتور عبدالله الطيب، صلةٌ قويةٌ بالأخ العزيز منير صالح ووالده صالح عبدالقادر وعبدالله الكردي .. وأحسبُ أن أشدَّ تلك المساجلات كانت أيام تولي الأستاذ جلال الدين عبدالمجيد تحرير صحيفة «صوت السودان» وكان الأستاذ الهادي العمرابي في ذلك العهد حياً يرزق، وفي هيئة تحرير «صوت السودان»، فكان الشاعر عبدالله الكردي ربما شكا تحيزاً منه إلى جانب الشاعر صالح عبدالقادر.

ويذكر الدكتور عبدالله الطيب منتدىً أدبياً آخر من منتديات ذلك العهد البعيد قائلاً : حسبكُ شاهداً مكتبة الأستاذ حسن بدري – رحمه الله – فقد كانت مجمعاً لأدباء الكتيبة وأشعارهم مما تداولوه بينهم في المساجلات وأهاجي المفاكهات .. وقد طبعَ منهم الأستاذ النور إبراهيم ديوانه، والأستاذ محمد المهدي مجذوب، وأحسبُ أنه كان منهم الأستاذ إمام دوليب والأستاذ محمد محمد علي – رحمهم الله جميعاً – والأستاذ محمد عبدالقادر كرف له أبياتٌ من أنفاسِ جزالته في الهجاء :

تَوَلَّت سنينُ الصبا الوارفاتُ ... ولم تبقَ إلا العِجافُ المُسنَّه
فَلَيتيَ في النَّعف نعفُ الربابِ ... أغيرُ وحولي الطبولُ المُرِنَّه
فذَرني والمقرفينَ الغُواةَ ... أُولي الضِّغنِ والعتَكاتِ المُصنَّه
عسى الله يحسرُ من كيدِهم ... ويرمي أنوفَ العِبِدَّى الأقنَّه
فإنهم مُذ أصابوا الحياةَ ... خِسَاسُ النفوسِ ومُذ هُمْ أجِنَّه
وإنَّهُمُ قَذَرٌ لو دَنَت ... أكفُّهُمُ من طعامٍ تسَنَّه!

ومن أبرز خصال الأديب الشاعر الدكتور عبدالله الطيب صدقُ المودَّةِ والوفاء لأصدقائه وأحبابه وعندما علم بوفاة أحدِ أصدقائهِ الأعزاء، نظم مرثيةً حزينةً كتبَ في مقدمتها الكلمة التالية :

«تُوفِّيَ الأستاذ الدرديري محمد عثمان الصائم «صائم ديمه» في شهر سبتمبر عام ١٩٨٥م عن تسعةٍ وستين عاماً، وكان من الأدباء العلماء المشتغلين بالدرس والتحصيل، وكان عهدي به يهشُّ إلى ما أعرِضُ عليه من نثرٍ أو نظم. وكنتُ مِمَا أنتفعُ بتعليقه ونقده، لحصافته وذوقه وفطنتهِ مع سَعَةِ اطِّلاعهِ وصدقِ نصيحتهِ، فما راعَني وأنا أهُمُّ بالذهاب إليه إلا أن نعاهُ لي ناعٍ ذكرَ أنه قد سَمعَ خبرَ وفاته، وأكدَّ أنه هو الدرديري محمد عثمان الصائم «صائم ديمه» الأستاذ المعروف من أبناء مدينة «القطينة» ... ويقول الأديب الكبير عبدالله الطيب لقد أحزنني فقدُهُ، فأنطقني بهذه الأبيات، لعلَّ ذلك يشفي غليلاً :

نعَوا لي درديري فأحسستُ حسرةً
على فقدهِ تنغَلُّ فيَّ انغِلالها

وكان صديقاً لي وكانت مودتي
لهُ فوق أن يُلفَى البعِادُ أزالها

وكنتُ حريصاً أن أراهُ ففاتني
كذاك المنايا حين ترمي نبالها

وكم قد قرأنا الشعر أسمعُ صوته
يُؤكدُمعنى لفظةٍ وظلالها

وشعرُ «شلي» نختارُ منهُ غناءَهُ
لِقُبَّرةٍ جَوُّ الصَّفِيرِ خلا لها

فتشدو إذا تسمو وتسمو إذا شدت
وتفرغُ في لحنٍ شدته انفعالها

ألا تلك أيام الشباب تصرَّمت
تذكرتُ منها طيبها وجمالها

وما كـنت أدري أن سينجابُ حسنها
ونبلو حفـالات الورى وحثالها
ومن مثـل درديري عفافاً ونجدةً
وَعِـزَّةَ نفسٍ لم تجد من أذالها
وكـان أديباً ناقداً لمحاته
تفيد عـبارات البيان كمالها
وكان نجـيباً ألمعياً مهذباً
له نفس إنسـانٍ حَمِدنا خصالها
وكان أخا الإخـوانِ فيه رويّةٌ
وحزمٌ إذا ما كلـمة الحق قالها
نعوا لي درديري فـقد ساء رُزؤُهُ
فؤادي وأجـرى عبرتي وأجالها
سقى قبر درديري سحابٌ مُجلجلٌ
برحمـةِ ربِّي ما تُغِبُّ سِجالها
ولا تبخـلي يا عَينُ، إنَّ مُصابهُ
عظيمٌ وكم مـن أدمُعٍ قد أسالها
عزاءٌ لكم أهـل القطينة واصبروا
كذا هـذه الدنيا تُرينا زوالها
سقت قبر درديري بن صائم ديمةٌ
سحـابةُ غفرانٍ تديمُ انهلالها

وقد جمعت علاقةُ ودٍ وزمالةٍ وإخاء بين الأديب العلاَّمة عبدالله الطيب والأديب الراحل الأستاذ جمال محمد أحمد وقبل أن يلتحق «عبدالله الطيب» بكلية غوردون عام ١٩٣٦م تسنَّى له الاطِّلاع على كلمةٍ كتبها الأستاذ جمال محمد أحمد في مجلةالكلية الصادرة سنة ١٩٣٥م وكانت تلك الكلمة بدايةً للصلةِ الأدبية والشخصية بينهما وعندما تُوفِّيَ الأديب الأستاذ جمال محمد أحمد في أول سبتٍ من ديسمبر ١٩٨٦م، رثاه صديقه الوفي الدكتور عبدالله الطيب بقصيدةٍ مؤثرة جاء فيها :

أتاني رســـــولٌ نعى لي جمالاً

فحقَّ الدمــــــوع له أن تُثَجْ

وإنَّ دموعــــــي هذا القريضُ

الذي فيه شـــجوى شدا أو هزج

نعوا لي جـــــمالاً فقالوا ذهب

وكان ســـــنا وجهه كالذهب

وكان ذكـــــياً طموح الفؤاد

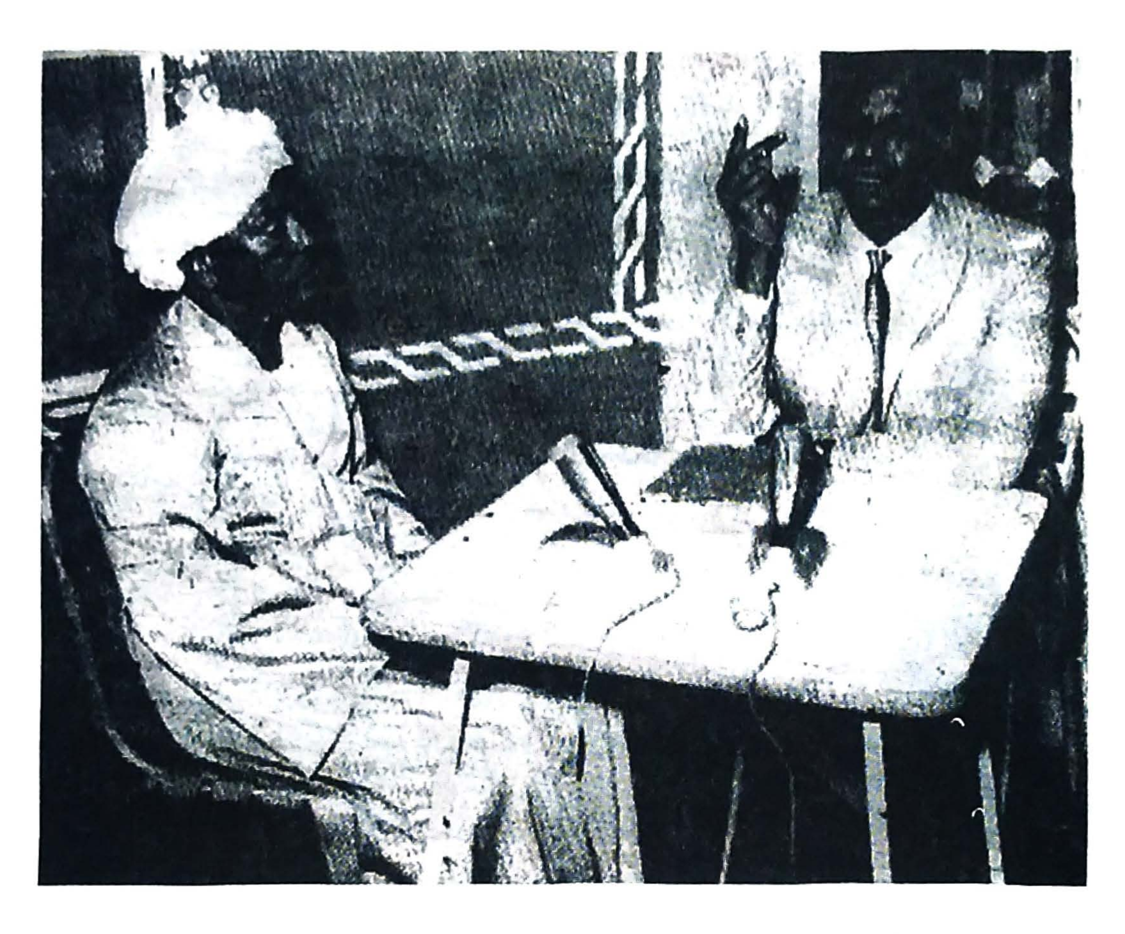
وحلو الفكـــــاهة مرَّ الغضب

سيحـــــيا بذكراهُ بين الورى

ونحـــــييه فيها بفكرٍ وفن

ويذكرهُ مجـــــمع الخالدين

والذكرُ غـــــايةُ أهلِ الفِطن



البروفيسور عبدالله الطيب والشيخ صديق أحمد حمدون

يسجلان معاً أمام مايكرفون الإذاعة بأمدرمان

حلقة في برنامج «دراسات في القرآن الكريم»

مقتطفات من شرح الدكتور عبدالله الطيب
لآياتٍ من القرآن الكريم

لقد عكف الأديب العالم البروفيسور عبدالله الطيب على شرح الآيات القرآنية الكريمة، وتفسيرها باسلوبه السلس العميق من خلال برنامج إذاعي يومي مستخدماً اللهجة السودانية الدارجة لتقريب المعاني القرآنية الجليلة إلى وجدان وفكر المستمعين في كل أنحاء السودان.

وقد أصدرت الدار السودانية للكتب بالخرطوم كتاباً بعنوان «تفسير جزء عمَّ» للبروفيسور عبدالله الطيب تضَّمنَ تفسيراً وشرحاً لمعاني أكثر من ثلاثين سورة من القرآن الكريم باسلوبين بالفصحى والدارجة السودانية.

ويقول البروفيسور عبدالله الطيب عن منهجه في التفسير في مقدمة كتابه «تفسير جزء عمَّ» بصفحة ٧ : اعتمدت في منهجي أن أفسر بعض الكلمات والعبارات والمفردات، وأنبه على بعض ما جاء في ذلك، من وجوه التأويل ثم من بعد أتناول جملة ما قدمته بتلخيصٍ من التفسير ومنظور فيه إلى ابن جرير والجلالين وتفسير البخاري وسوى هؤلاء ثم اتبع هذا التلخيص بتلخيص آخر بلغتنا الدارجة.

هذا وقد عنيت بأن أنبه إلى مذهب قراءة أبي عمرو من رواية الدوريِّ، إذ هي قراءة أكثر أهل بلادنا ومنهم من يقرأون برواية ورش عن نافع.

وقراءة أبي عمرو برواية الدوري هي إحدى روايات أربع عشرة من قراءاتٍ سبع، اختارها أبوبكر بن مجاهد وأخذت عنه فَسَارَ عليها الأداء من بعد، وأشهر ذلك من طريق المنظومة المعروفة بالشاطبية وكتاب التيسير الداني، وغيث النفع للسفاقسي، والنشر لابن الجزري.

والقراءُ السبعة المنسوبة إليهم القراءات السبع هم : نافع بالمدينة، وروى عنه ورش وقالون وابن كثير بمكة، وروي عنه البزي وقنبل، وابن عامرٍ بالشام وروي عنه هشام وابن ذكوان، وأبوعمرو بالبصرة، وروي عنه يحيي اليزيدي، وعنه روى الدوري والسوسي وعاصم وحمزه، والكسائي بالكوفة.

وعن عاصم روى حفص وشعبه وعن حمزه خلف وخلاد، وعن الكسائي الدوري وأبو الحرث.. وكانت لهؤلاء القراء السبعة مذاهب في الأداء عرفوا بها واعلم أنه إذا قيل القراء السبعة فليس ذلك بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن وإنما هؤلاء علماء اختارهم أهل الأداء واتبعوا مذاهبهم من بعد.

واعلم أنهم قد اصطلحوا لفظ القراءة والقارئ للسبعة الذين ذكرنا ومن بمنزلتهم من أصحاب القراءات الأصول كابن محيصن وأبي جعفر والحسن البصري.

وفيما يلي أورد تفسيراً للأديب العالم البروفيسور عبدالله الطيب لسورتين هما سورة التين وهي مكية وآياتها ثمانٍ نزلت بعد سورة البروج. وسورة القدر وهي مكية وفيها خمس آيات نزلت بعد سورة عبس.

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم
والتين والزيتون ❖ وطور سينين ❖ وهذا البلد الأمين ❖
لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم❖

● المفردات :

- والتين والزيتون :

الواو للقسم، وجواب القسم «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» .. قالوا أراد سبحانه وتعالى بالتين وهو جلّ وعزّ أعلم بمراده، مسجد دمشق، وأراد بالزيتون مسجد بيت المقدس، وقالوا لا بل الجبل الذي عليه دمشق والجبل الذي عليه بيت المقدس وقالوا هما جبلان أرادهما الله عزّ وجلّ وأقسم بهما، وقالوا التين مسجد سيدنا نوح عليه السلام والزيتون بيت المقدس.

وقالوا معنى «والتين والزيتون» هو التين المعروف والزيتون المعروف، أقسم الله سبحانه وتعالى بهما وهذا هو القول الواضح إن شاء الله، ورجحه الطبري وقطع به الزمخشري ويجوز أن يكون المراد بالتين والزيتون منابتها والسياق يحتمل هذا التأويل إلا أن حمله على الواضح أجود والله تعالى أعلم.

- وطور سنين

الطور كل جبلٍ عليه نباتٌ .. «وطور سينين» المراد به والله أعلم بمراده طورُ سيناء الذي كلَّم الله عنده سيدنا موسى عليه السلام. وزعم بعضهم أنَّ سينين معناها الحسن باللغة الحبشية، إذ قالوا يقولون بالحبشية «سينا .. سينا» .. وزعم بعضهم أن المراد بها المبارك.

وقد عاب الطبريُّ هذا القول بحجة أنه لو كان الأمر كذلك لقال تعالى : وطور سينينٍ بالتنوين كما يحدث في الصفة والموصوف ثم رويَ عن سيدنا عمر بن الخطاب أنه قرأ وطور سيناء بالمد، فهذا يقوي التفسير الأول.

وقال بعض المفسرين إنَّ التين والزيتون وطور سينين، مساجد بالشام والوجه الذي رجحناه أشبه بظاهر التنزيل والله أعلم.

- وهذا البلد الأمين

البلد الأمين هو مكة، وسميت بلداً أمينا لأنها كانت حرماً لا يحل فيه القتال ولا الصيد والأمين هاهنا بمعنى الآمن الذي يأمن فيه الناس.

- في أحسن تقويم

في أحسن صورةٍ لأنَّ الإنسان معتدل القامة، منحه الله مع اعتدال القامة الذَّكاء واللسان وقال بعضهم عَنَيَ بأحسنِ تقويمٍ، زمان الشباب والوجه الأول أظهر والله أعلم.

●● الخلاصة :

أقسم ربُّنا تبارك وتعالى بالتين وبالزيتون وبجبل الطور وهو الجبل الذي كلَّم الله سبحانه وتعالى عنده سيدنا موسى عليه السلام على أنه هو جلَّ جلاله قد خلق الإنسان في أحسن هيئةٍ وأتمها، وأعدلها، إذ جعله حسن الوجه متناسب أشكال الأعضاء قائماً على رجلين ذا بصرٍ وسمعٍ ولسان وذكاء وذلك كله من فضل الله عليه وتكريمه له فله الحمد والشكر لا إله إلا هو وهو على كلِّ شئٍ قدير.

●● **خلاصة بالدارجة السودانية :**

ربنا حلف بالتين والزيتون وبالطور .. والطور دا جبل في شبه جزيرة سينا، وهو الجبل الكلم عنده ربنا سبحانه وتعالى سيدنا موسى عليه السلام.

والتين والزيتون هي التين المعروف، والزيتون المعروف، وبعض المفسرين قالوا التين والزيتون ديل مسجد الشام ومسجد بيت المقدس ولكن التفسير الذكرناه أوضح وأرجح والله أعلم.

وربنا حلف بالبلد الأمين وهو مكة، وسماه ربنا أمين، يعني آمن، يأمنو فيه الناس فيشان مكة كانت من زمان الجاهلية بلد حرام ما بيجوز فيه القتال ولا الصيد وربنا حلف بالتين والزيتون والطور ومكة على أنه خلق الإنسان في أحسن صورة وفي أحسن هيئة دا معنى قوله سبحانه وتعالى «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» فيشان الإنسان عديل في مشيته وكمان عنده عقل وربنا ميزه باللسان.

ثم رددناه أسفل سافلين ❖ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ❖ فلهم أجرٌ غير ممنون ❖ فما يُكذبك بعد بالدين ❖ أليس الله بأحكم الحاكمين ❖

● **المفردات :**

- «أسفل سافلين»

قالوا أي أسوأ حال، وعَنَى بها الله تعالى حالة الهرم والشيخوخة، إذ يتقوس ظهر الإنسان ويذهب عقله، وتتهدَّم أعضاؤه.

- «غير ممنون» :

ومعناها غير محسوب، أو غير منقوص وكلا الوجهين قوي، والمعنى بعد متقارب على التأويلين، لأن كلاً منهما يدل على معنى كثرة الأجر وتتابعه والله تعالى أعلم.

- «بأحكم الحاكمين» :

الباء مقوية للفعل ليس. أي : أليس الله بأقوى الحكام حكماً، وأعدلهم عدلاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أنزلناه في ليلة القدر❖ وما أدراك ما ليلة القدر❖ ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر❖ تَنَزَّلُ الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمرٍ❖ سلامٌ هي حتى مطلع الفجر❖

●● المفردات :

- «إنَّا أنزلناه»

الضمير في أنزلناه يعود على القرآن، وقالوا المراد إِنَّنا ابتدأنا تنزيله في ليلة القدر، أي إِنَّ الله أنزل أول شئ أنزله من القرآن في ليلة القدر.

وقالوا : إنَّا أنزلناه، أي نزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا حيث أَملاهُ جبريل صلوات الله عليه على السَّفَرَةً وهم الملائكة الكاتبون الذين يكتبون القرآن.

وعلى هذا القول يكون القرآن قد نزل جملةً واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ثم بعد ذلك، نزل شيئاً فشيئاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر هذا القول الزمخشري.

- «في ليلة القدر» :

أي في ليلة تقدير الأمور وقضائها .. والقدر هو التَّقدير من قدَّرت الشئ أقدره. وقالوا : بل القدر هو العِظَمُ فليلةُ القدر هي اللَّيلة ذات العِظمِ والوجه الأوَّل أولى، لأنَّه ظاهر التنزيل كما في سورة الدخان وذلك قوله تعالى : «إنا أنزلنا في ليلةٍ مباركةٍ إنَّا كُنَّا مُنذرين فيها يفرق كُلُّ أمرٍ حكيمٍ أمراً من عندنا إنَّا كنَّا مرسلين».

وقالوا إنَّ اللَّه يقضي فيها أمور السنة كلها، واتفقوا على أنَّ ليلة القدر في كُلِّ رمضان واختلفوا في أيٍ من لياليه هي، فبعضهم يرى أنها ليلة السابع من رمضان وبعضهم يرى أنها ليلة السابع والعشرين.

وهي الليلة المباركة التي ذكرها الله تعالى في سورة الدخان كما تقدم حيث استشهدنا بقوله تعالى في ذلك.

- «خيرٌ من ألف شهرٍ»:

أي العمل الصالح والعبادة فيها أفضل من عبادة ألف شهرٍ ليس فيهنَّ ليلة القدر ... وقالوا إنَّ ليلة القدر نفسها أفضل من ألف شهرٍ وهذا غير بعيد جداً من المعنى السابق لدلالته على بركةِ العبادة والعمل فيها.

- «تنزل الملائكة»: أي تتنزَّل الملائكة.

- «والرُّوح فيها»: أي وجبريل فيها أي في الملائكة.

- «من كل أمرٍ»: أي تتنزلَّ الملائكةُ ومعها جبريل بكل أمرٍ قضاه الله تعالى من تلك الليلة إلى مثلها من العام التالي.

- «سلامٌ هي»:

أي خيرٌ وسلامٌ كلها. وزعم بعضهم أن ترتيب الكلام وسياقه من كل أمرٍ سلامٌ هي - أي هي سالمة من كل أمرٍ .. وهذا التأويل - والله أعلم - ليس بقويٍ لأنَّ قوله تعالى سلامٌ هي حتى مطلع الفجر يدلُّ عليه ويغني عنه فبقى أن نجعل من كُلِّ أمرٍ تابعة لما قبلها وهو التأويل الذي قدمناه إن شاء الله تعالى.

- «مطلع الفجر»: طلوع الفجر وهي بفتح اللام وقرأ الكسائي بكسر اللام.

●● الخلاصة:

يقول الله تعالى إنَّنا أنزلنا القرآن في ليلة القدر، وهل تعلم يا محمد ما ليلةُ القدر؟ إنَّها الليلة التي نقضي فيها بكلِ قضاءةٍ حكيم، وهي أفضلُ من ألفِ شهرٍ ... العبادة فيها تزيد في الفضل على عبادة ألف شهرٍ ليست فيها ليلة القدر، وهي ليلةٌ مباركة، تتنزَّل فيها الملائكة من السماء ومعهم جبريل ينزلون بكلِّ أمرٍ قضاه اللَّه للعام كله في تلك الليلة وهي خيرٌ كلها وسلامٌ كُلُّها إلى وقت طلوع الفجر.

وقالوا إنَّ الملائكة ينزلون فيها ويسلمون على عباد الله المؤمنين والمؤمنات. وذكر بعضهم أنَّ المراد من قوله تعالى: «ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر» إِنَّهَا خيرٌ من ملك بني أميَّة إذ قد كان ألف شهرٍ .. وذكر هؤلاء أنَّ النبي صلَّى اللَّهُ عليه وسلم رأى في

المنام ملوك بني أمية يتعاقبون على منبره، فساءه ذلك فسلاّه الله تعالى بقوله : «ليلة القدر خيرٌ من ألف شهرٍ». والراجح ما قدمنا من التأويل.

وقال الطبريٌّ رحمه الله في تفسيره : وأشبه الأقوال في ذلك بظاهرِ التنزيل قولُ من قال عملٌ في ليلةِ القدرِ خيرٌ من عمل ألف شهرٍ ليس فيها ليلة القدر وأمَّا الأقوال الأُخر فدعاوي غير صحيحة. والله تعالى أعلم وأحكم.

خلاصة بالدارجة السودانية :

ربنا سبحانه وتعالى بيقول ما معناه إنُّه نحن أنزلنا القرآن في ليلة القدر، وربنا سبحانه وتعالى خاطب النبي عليه الصلاة والسلام وقال له وليلة القدر دي العرَّفك بيها شنو يا محمد؟ ليلة القدر دي أخير من ألف شهر، يعني العبادة والعمل فيها أخير من العبادة والعمل في ألف شهر ما فيهن ليلة القدر فيشان الملائكة بتنزل دُفع، دُفع فيها من السماء، وفيهم الروح يعني سيدنا جبريل عليه السلام ومعاهم وقت ينزلوا كل أمرٍ قضاه ربنا للعام الـ هي فيه.

فيشان ربنا بيقضي أمور السنة كلها في ليلة القدر الـ هي ليلةُ التقدير، والتدبير عند المولى سبحانه وتعالى، وربنا قال أن ليلة القدر دي هي سلامٌ كلها وخيرٌ كلها لمَّان يطلع الفجر.

ومعنى «ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر» يعني العمل والعبادة فيها مثل ما فسَّرنا وبعض المفسرين قالوا ألف شهر يعني ملك بني أمية فيشان النبي عليه الصلاة والسلام شاف ملوكهم في المنام فوق منبره، وحزِن للرؤيا دي، والمولى سلاَّه بالآية دي لكن القول دا ضعيف والتفسير الراجح هو الـ قلناه والله تعالى أعلم.

وتمَّ بحمد الله وعونه تفسير سورة القدر.

معالجة مشكلة الأداء في اللغة العربية
من وجهة نظر البروفيسور عبدالله الطيب

مقترحـاتٌ مهمةٌ وحلول صائبة مفيدة صاغها بإيجازٍ عرضاً وتحليلاً الأديب المفكر البروفيسور عبدالله الطيب في كلمةٍ ألقاها على كوكبةٍ مرموقة من كبار الأدباء والعلماء والمفكِّرين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة إسهاماً منه لمعالجة مشكلة الأداء في اللغة العربية.

وتحدَّث البروفيسور عبدالله الطيب في كلمته مشخِّصاً الداء وأسباب العِلَّة ومشيراً إلى وسائل العلاج الناجع لمشكلة الأداء في اللغة العربية قائلاً* :

سأعمدُ في كلمتي هذه إلى حديثٍ موجز عن دعوة إقامة معهدٍ أو معاهد لتدريس اللغة العربية يكون الأرب منها إعداد معلمين لها في الجامعات يأخذون طلبتهم بدرسها درساً يجمع بين معرفة القواعد النحوية وضروب الأدب والبيان ويتخرَّجون على أيديهم ناطقين بلسانٍ عربي مبين وعلى الله قصد السَّبيل وبالله التوفيق.

وشرع البروفيسور عبدالله الطيب في تحديد مكمن الداء الذي يعوق سلامة الأداء في اللغة العربية بقوله :

أول أسباب الضعف في أداء العربية أنَّ مدرسها ضعيفٌ في الغالب، مخسوس الحظِّ من الجاه والرتبة .. ومن أسباب ضعفه ونقصان حظه أنَّ كثيراً من المدارس العصرية اقتضت كثرة المدرسين في المرحلة الأساسيَّة وذلك يتبعه أن تكون مرتباتهم ضعيفةً وحظهم من الجاه ضعيفاً.

وقِدماً كان الإقبال على درس العربية وعلومها وعلوم الدين عظيماً لأنَّ ذلك كان سبيل التفوق في المجتمع.

وقد خَلَفَ ذلك الإقبال القديم إقبالٌ عصريٌ جديد على الطبِّ والهندسة والتَّقنيات الحديثة فاقبل طالبو التفوُّق على هذه الأبواب من الدرس والتمهيد المهني وانصرفوا

---

* مجلة مجمع اللغة العربية العدد الثالث سنة ١٤٢١هـ-١٩٩٩م عن مجمع اللغة العربية «الخرطوم».

عن فقه العربية. وملأ الفراغ الذي تركوه أصنافٌ من الطلاب أكثرهم ضعاف الذكاء والتحصيل.

وثاني أسباب ضعف العربية ما شنَّه عليها حكام بلاد العربية والإسلام الأجانب المستعمرون من حربٍ صادرة عن كراهيةٍ للإسلام وعن كراهيةٍ للغة القرآن وعن تعصبٍ للغاتهم وعنصريتهم ودعوى تفوقٍ مطلق يخفي معها طلب الصواب والاعتراف به.

والمغلوب في بعض ما بينه ابن خلدون مولعٌ بتقليد الغالب! وهذا الضعف وجد الآن دعاةً له باسم التجديد والحداثة في اللغة العربية.

وقد أرى بين المحاور المقدمة للبحث في هذه الندوة السديدة إن شاء الله أن المحور الثالث في تيسير مباحث العربية : الإملاء والنحو والصرف والبلاغة. وأحسب أن الغرض هو تعليم مباحث العربية من إملاء .. وخط .. ونحو .. وصرف، لا مجرد تيسيرها على إن التعليم لابد فيه من طرقٍ تعتمد إلى تيسير محاسره، ولكن العسر لا يزول حقاً إلا بدأب الطالب وجده مع جودة عمل الأستاذ وحسن تأنيه.

أما أن يكون القصد من التيسير إهمال الضروري والعمد إلى جعل كل صعب هيناً بنوعٍ من تمردٍ تربوي مرتب على احتقار أمهات مسائل اللغة نحواً وصرفاً وإملاءً وخطاً فهذا ما لا ينبغي أن يكون.

ولابد في العمل إلى إعادة اللغة العربية إلى بعضِ ما كان لها من مكانةٍ في حفظ الثقافة والعزة القومية والمعارف الإسلامية من جدٍ حقٍ في أمر تعليم اللغة العربية تعليماً صحيحاً، يُيسَّرُ بغرض التفهم لا بغرض تجاوز العزائم إلى الرخص، والرخص إلى اللحن واللحن إلى العجمة!.

ولا يكون التعريب الحق باستخدام ألفاظ أعجمية، ونصوص أعجمية، حروفها وبعض نطقها وتركيبها كأنه عربي إنما يكون التعريب الحق بأداءٍ عربي الروح عربي الاسلوب مبين.

علينا أن نهتم بترجمة أمهات كتب العلوم الحديثة، وأن نحرص على أن يكون

ذلك، بلسانٍ عربيٍ فصيحٍ مبين، وأن يقع تبادل في المترجمات والمعرَّبات بين المجامع العربية وأن يشارك الإعلام المرئي والمسموع في ذلك بجدٍ ونشاط.

وعلينا أن نحيي أُمَّهات كتب العلوم والثقافة العربية بجعل فصولٍ نختارها منها ونشرحها بتحقيقٍ وتدقيق ليكون فهمها ميسوراً للطالب الثانوي والجامعي والفتى والفتاة الواعدة في مختلف مراحل التعليم .. وكتاب مقدمة ابن خلدون مثلاً، فيه فصول قيمة في علوم ومعارف مختلفة، ولكن في لغته على القارئ الشاب المعاصر بعض العسر.

هذا العسر يزول من طريق الاختيار الحسن والتعليق المفيد والشرح الوافي ... ومثل ذلك قد يقال في «تهافت الفلاسفة» للغزالي، وسيرة ابن هشام وصحيح مسلم وحاوي الرازي الطبيب وموسيقا الفارابي وكثير من رسائل ابن سينا وابن رشد وبعض كتب ابن فارس والمعري وابن سيده وما يحسن التمثيل به في هذا الباب كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني فالمقدمة الخامسة منه عسرة تحتاج إلى شرح وتوضيح. ومع أن الكتاب مزعومٌ أنه قد حقق فإن هذه المقدمة بأسرها غير مشروحة وعسرها على الفهم باقٍ وقد نرى في كتب الإفرنج لكل مشكلة في كل فقرة شرحاً وافياً متبوعاً بأسئلةٍ تقوي فهمه واستيعاب معناه.

وعلينا أن نقيم معاهد لتدريب مدرس العربية في السلك العالي ثالثاً .. أو رابعاً في الجامعات بحسب مناهجها المختلفات، وذلك بأن نختار خريجين وخريجات ممن اجتازوا مرحلة الإجازة بدرجاتٍ حسنة عالية وتدريب هؤلاء مدة ثلاثة أعوام يتخصصون فيها في العربية نحواً وصرفاً وإملاءً وبياناً ولغةً مع درسٍ وافٍ لنصوص محققة مشروحة وافية ويُعدُ في أثناء هذه السنوات الثلاث إعداداً مناسباً للتدريس.

وهؤلاء المدرسون يبثون في الأقسام العالية بدءً بجامعةٍ واحدة ويكونون في نفس الوقت ممهدين ومهيئين لجعل التعريب لغة الجامعة العربية الحديثة في المحاضرات المبرمجة وفي ما سوى ذلك من وجوه المعرفة. ومشاركة الإعلام بأجهزته القوية أمرٌ لازم في هذا الباب.

وهذا الفوج الأول من مدرسي العربية يمهد لجعل المعهد في المستقبل متخصصاً في باب إعداد مدرسي العربية لا السلك العالي، ثالثاً أو .. رابعاً فقط، ولكن لمرحلة الأساس أيضاً خصوصاً في جانب المرحلة الثانوية.

ويا حبذا .. لو أُلغِيَ المعمول به الآن من قسمة المدرسةالثانوية إلى اتجاهين علمي وأدبي فيتجه جل الأذكياء إلى العلوم وينصرف من دونهم إلى الأدب ويعود الأمر إلى الخطأ الذي بدأنا بالفرار منه.

كان ينبغي أن أقف قليلاً عند مرحلة البدء ولكن ذلك قد يحدث من جرائه في هذه الكلمة طولٌ بالغٌ إذ مرحلة الابتدائيِّ أمرٌ خطير وقعت فيه أخطاء تربوية لابد من تصحيحها إن كنا نريد أن تكون العربية الفصيحة هي حقاً لغة الوطن العربي الأولى.

وأول هذه الأخطاء أن أكثر بلاد العربية تبدأ تعليم صغارها إياها في سن السابعة إن بكَّر ذلك، وقد يتأخر البدء إلى الثامنة وقد كانت كتاتيب القرآن يبدأ فيها عندما يكون الصغير بين الرابعة والخامسة وعندنا في السودان كان الطفل يرسل إلى الخلوة حين يستطيع أن يلمس أذنه اليسرى بيده اليمنى من فوق رأسه وذلك يكون غالباً في أواخر الرابعة ويكون من حينئذٍ أول عهده بالعربية الفصيحة عن طريق درس حروف العربية وقصار المفصل والفاتحة على اللوح وهذا بعد باب واسع وكان الدافع الديني قوياً وأسال الله التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الأديب الكبير عبدالله الطيب
ومكايد خصومه والأشجان

برغم العطاء الإبداعي الرفيع والإسهام الفكري والعلمي المشهود للأديب المفكر البروفيسور عبدالله الطيب، إلا أنه قد عانى أثناء عمله بجامعة الخرطوم في عهد الصراعات الحزبية الجائرة من معاملاتٍ ظالمة مجحفة تجاهه عندما احتدم الخلاف بينه وبين نفرٍ من خصومه الحاقدين عليه في الجامعة فتكتلوا ضده وسعوا إلى محاربته في عمله ورزقه، وصدقت فيهم مقولة الدكتور طه حسين «ما أسوأ الذين لا يعملون ولا يرضيهم أن يعمل الآخرون».

وكان من جراء تلك الحملة القاسية أن يقرر الأديب الكبيرالبروفيسور الهجرة إلى نيجيريا حيث أسس كلية «بايرو» بنيجيريا في «كانو» وقد تحولت هذه الكلية فيما بعد إلى جامعةٍ مكتملة وأذكر بهذه المناسبة إجابة البروفيسور عبدالله الطيب عندما سألته إبان تأهبه للسفر والعمل خارج السودان عن أسباب هجرته فقال : لو سرني الحال في بلادي لما آثرت الرحيل عنها.

وقد خلَّفت تلك الملابسات والظروف الكالحة سحاباتِ حزنٍ وأسى في مساحاتٍ متفرقة عديدة من العالم الشعري للأديب الكبير الشاعر عبدالله الطيب وهو يقول في قصيدة «النيل والعطروالكادحون» بديوانه «أغاني الأصيل» :

طال الجهاد وقد تجاوزنا المدى ولقد بلونا شـــــدةً وخطوبا

ولقد تدرَّعـــــنا بحب محمدٍ وبه نخوض إلى النجاة حـروبا

والشاعر الكبير عبدالله ا لطيب يبتهل إلى المولى عزَّ وجلَّ ليحفظه من كيد الحاقدين الأشرار ويقول في قصيدة «اللاَّ .. تكلم» بديوانه «أغاني الأصيل» :

ولقد شكــوت إلى المهيمن أنني أفرِدتُ وحـــــدي والعدو كثيرُ

ولقد صــبرتُ على العدو وكيده صـــبراً جميلاً إننـــــي لصبور

ولمحت ضوءك واهتديت ولاح لي صـــبحٌ وراء النيِّراتِ مـــنير

ويرى الشاعر عبدالله الطيب جمعاً من الأشرار حوله ويوشك اليأس أن يعصف بآماله في الحياة ولكنه يتحصن بقوة الإيمان ويثب وثبة الأبطال في وجه الأعداء قائلاً في قصيدة «الدمع الغالي» بديوانه «أغاني الأصيل» :

لا تُذرِ دمعك إن دمعك غالي
واصبر، ولست بهم، فُديتَ، تُبالي
أو ما رأيت القوم حين تجمَّعُوا
يبغون بالكيد الحقير خَبَالي؟
وحبست في ركنٍ، قواي عظيمةٌ
وأهم لو أجد السبيل حيالي
يا ربِ، نفسي، قد دعوتك دعوةً
حرَّى أترفضني، فَمَنْ أمثالي؟
أفلا ترى أني رجوتك جاهداً
واليأس كاد يفِتُّ في أوصالي؟
وأرى رءوساً أينعت وقطافُها
عندي وعندي هبَّة الأبطال
قد تعلم الحسناء ذات الخال
أني الفتى وأجول كل مجال!

والشاعر الدكتور عبدالله الطيب يزيح أقنعة الزيف والنفاق والتمويه عن وجه من يرائيه بالمودة فيعطيه من طرف اللسان حلاوةً ويروغ منه كما يروغ الثعلب وهذا ما عده الشاعر من زمرة «أخلاء كأعداء» في ديوانه «أغاني الأصيل» :

سئمنا العيش ما بين أخِلاء كأعداء
ولوا أنَّ في أضلاعنا عزم أشداء
لقد كانت سهام الدهر منا في السويداء
ولكنا نرى الدنيا بعينٍ غير عمياء
ولا يذهلنا مكروهها عن حسنها النائي
وتحبونا صروف الدهر رُزْءَاً بعد أرزاء

وثمة لحظات كئيبة شاحبة أضفت على حياة الشاعر المرهف عبدالله الطيب غلائل حزنٍ وأسى حتى لم يعد يرى في الليل قمراً ولا في المزن ماءً وفي يده كاس سمٍ زعاف ممزوج برنق أي بكدر ويقول في قصيدة «هل أعرف النعماء» بديوانه «سقط الزند الجديد» :

ليت شعري هل أعرف النعماءَ؟

فألاقـــي عمًـــا رُزِئتُ عزاء

كل يومٍ يجـــــنُّ ليلٌ جديدٌ

لا أرى في ســـــواده قمراء

مقفر الكـــــف أشرب السم«م»

ممزوجـــاً برنقٍ ولا أذوق الماء

ما توسمت مزنةً تحمل الغيث«م»

أمامي إلا سَـــــفت نكباءَ

وفي قصيدة «عظني» بديوان «سقط الزند الجديد» ينشد الشاعر عبدالله الطيب عظةً حسنةٍ يتخذها نبراساً يبدد به ظلمات الحياة وبلسماً يشفي جراحه وذلك بقوله :

عظـــني فإني في ظلام دامسٍ

أبكـي على رسم الحياة الطامسِ

فلعـلَّ لي مما وعظْـــتَ هدايةً

تذكي الرجـــاء على فؤادٍ يائس

عظني ففـــي أنغام صوتك رنةٌ

تجتاز لُبـــي مثل نار القابس

ويمُدُّها من نور طـــرفك رائشٌ

يَنْدَسُّ بين خواطري وهواجـسي

وتصـــوغها آيات وجهك سورةً

غراء تبـــهر كالنهار الشامس

هذي جراحٌ تستطـــيع شفاءها

في قلب منحطـم المطامع بائس

فانشر عليها مـــن روائك بهجةً

تمحو بها أثر الزمان العـــابس!

لمحات من تكريم الأديب الكبير
عبدالله الطيب رسمياً وشعبياً

في المهرجانات الثقافية التي أقيمت في البلاد خلال فترة السبعينيات كرمت الدولة الأديب العالم البروفيسور عبدالله الطيب بمنحه الوسام الذهبي للآداب والعلوم والفنون.

وفي شهر سبتمبر عام ١٩٩٢م أقامت الدولة حفل تكريم للأديب الكبير عبدالله الطيب وفي هذا الحفل أهدى رئيس الجمهورية الفريق الركن عمر حسن أحمد البشير سيارة جديدة للبروفيسور عبدالله الطيب.

وتكريم الدولة للأديب العلامة عبدالله الطيب بإهدائه سيارة جديدة يعد بحق لفتة طيبة كريمة وبادرة متفردة في اسلوب تكريم وتقدير الأدباء والعلماء والمفكرين نظير عطائهم الإبداعي وجهودهم الجليلة لإثراء مجالات الآداب والثقافة والفكر.

والأديب المفكر عبدالله الطيب عرفه المثقفون وكبار الأدباء والمفكرين في شتى أنحاء العالم وقد أسس جامعة «بايرو» بنيجيريا وعمل أستاذاً للغة العربية بجامعة المغرب ومحاضراً بالجامعات البريطانية.

وللبروفيسور عبدالله الطيب كما نوهت من قبل قدرةً تامة على قياس أوزان الشعر الإنجليزي بالبحور الخليلية العربية وفي كتابه «التماسة عزاء بين الشعراء» يحدثنا عن كبار الأدباء والشعراء الأوروبيين ويقارن بعض أعمالهم الشعرية والأدبية بما نظم الشعراء العرب ومثلما يحدثنا باستفاضةٍ عن البحتري والمتنبئ وامرئ القيس ولبيد يحدثنا كذلك عن نيتشه وكوليردج وبايرون وبيرسي شيللي.

وقد أشاد بعبقريته الأديب المصري عميد الأدب العربي الراحل الدكتور طه حسين في مقدمة الجزء الأول من كتاب «المرشد إلى فهم أشعار العرب» بقوله عن الدكتور عبدالله الطيب : (أنا سعيد حين أقدم لقراء العربية هذا الأديب البازع، لمكانه من التجديد الخصيب في الدراسات الأدبية) - وقوله أيضاً : (أما بعد، فإني أهنئ نفسي، وأهنئ قراء العربية بهذا الكتاب الرائع وأهنئ أهل مصر والسودان بهذا الأديب الفذ).

ومن الجوائز العالمية والمحلية التي نالها البروفيسور عبدالله الطيب في مستهل عام ٢٠٠٠م جائزة مؤسسة الشهيد الزبير الخيرية للآداب وجائزة الملك فيصل العالمية للآداب.

وفي مجال التكريم الشعبي للأديب العالم عبدالله الطيب ذلك الحفل الجميل الرائع الذي أقامه معهد سكينة للأطفال المعوقين بأمدرمان في صباح يوم الجمعة ٩/٢/١٩٩٠م وكانت أجواء الحفل مفعمة بمشاعر الفرح والحب والوفاء ومضمخة بأريج الحفاوة والتكريم للأديب الكبير عبدالله الطيب.

وكان الصباح عاطراً بهيجاً في رحاب حفلٍ منسقٍ بديع على ضفاف النيل الخالد ازدان بروائع الشعر ورصين الكلم وعذب الحديث، وقد فاضت أفئدة الأدباء والشعراء بالمسرة والإبتهاج.

وفي مقدمة المحتفين كبار المسئولين ورجال الدولة جاءوا جميعاً سعداء فرحين ليقدموا باقات الحب والوفاء والتقدير للأديب الشاعر الدكتور عبدالله الطيب.

وكانت بحق لفتةً طيبة وكريمة من أسرة معهد سكينة للأطفال المعوقين وتحية مقدرة من مؤسسة تربوية «خاصة» تجاه العلماء والمبدعين في السودان.

وقد أثنى الأستاذ علي محمد شمو وزير الثقافة والإعلام – آنذاك – على الأديب الكبير عبدالله الطيب وقال عنه أنَّهُ مفخرة للسودان والأمة العربية جمعاء.

كما تبارى الشعراء والمتحدثون في الإشادة والتقدير وإطراء شمائل وإبداعات المحتفى به الأديب الكبير عبدالله الطيب وقد جلست بقربه حرمه المصون ورفيقة دربه «جوهرة = جيرزالده» التي أجادت وأتقنت الحديث باللغة العربية وباللهجة السودانية الدارجة وهي إنجليزية الأصل أحبت السودان وأهله، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ منه وهي أيضاً فنانة تشكيلية ممتازة لها أعمال فنية بمستوى راقٍ تجعلك عند النظر إلى رسوماتها الانطباعية والتعبيرية تدرك بأنها تمتلك قدرة فائقة في توزيع الظلال والألوان والأبعاد لا سيما في لوحاتها المستوحاة من اليمن الشقيق.

وأيضاً كرم البروفيسور عبدالله الطيب بكلية الإعلام بجامعة أمدرمان الإسلامية في صباح يوم الإثنين ٢٣ أبريل ٢٠٠١م حيث أقامت جمعية دعاش الثقافية بكلية الإعلام بجامعة أمدرمان الإسلامية حفل تكريمٍ ووفاء للعالم الجليل البروفيسور عبدالله الطيب.

وتحدث في الحفل عميد كلية الإعلام والأساتذة البروفيسور علي محمد شمو والسيدة جوهرة «جيرزالده» الطيب، ومصطفى عوض الله بشاره ورئيس جمعية دعاش الثقافية وشارك في الحفل بالغناء الديني والحماسي المطرب الكبير علي إبراهيم اللحو.

وشرفت الحفل بالحضور أسرة المحتفى به الأديب العالم الدكتور عبدالله الطيب.

الجمعية السودانية لخريجي الجامعات والمعاهد المغربية
احتفلت بالبروفيسور عبدالله الطيب بمناسبة بلوغه الثمانين

في بطاقة الدعوة التي استلمتها من هذه الجمعية للمشاركة في الأمسية الشعرية المقامة بقاعة الشارقة بجامعة الخرطوم إحتفاءً وتكريماً للبروفيسور عبدالله الطيب وردت العبارات التالية :

إن خير باقةٍ نتقدم بها إلى العلامة الشاعر عبدالله الطيب المجذوب هي نخبة أشعار نأمل أن نطوق بها جيد هذا الألمعي ونرصعها بصالح الدعوات وبركات الشفاء وندعوكم - إذن - للمشاركة بقراءة شعرية بها نحتفل سوياً في الأمسية الشعرية المهداة إليه بمناسبة بلوغه الثمانين عاماً مباركاً.

الزمان : الخميس ٢١ يونيو ٢٠٠١م، المكان : قاعة الشارقة - جامعة الخرطوم.

الإمضاء : عامر عبدالحميد - السكرتير العام للجمعية السودانية لخريجي الجامعات والمعاهد المغربية «اللجنة التنفيذية».

وفي هذه الأمسية الزاهية الرائعة التي أقامتها الجمعية السودانية لخريجي الجامعات والمعاهد المغربية إحتفاءً وتقديراً للعالم الأديب الدكتور عبدالله الطيب إزدانت قاعة الشارقة وتألقت برونق الشعر الأصيل الرصين واستمتع الحاضرون أيما استمتاع بروائع الشعر وعذب الحديث الجزل الشائق المفعم بمشاعر الحب والوفاء والتقدير للأديب النحرير والشاعر المبدع البروفيسور عبدالله الطيب.

وقد احتشدت في القاعة وفود الشعراء والأدباء والدبلوماسيين وكبار المسئولين في كرنفال بهيج وفي مقدمة الحاضرين سعادة سفير المملكة المغربية وسعادة سفير جمهورية مصر العربية الأستاذ محمد عاصم إبراهيم والدكتور محيي الدين صابر والسيد عبدالله دينج نيال والمربي الجليل الأستاذ أحمد عبدالله المغربي والسيدة الفضلى جوهرة حرم المحتفى به البروفيسور عبدالله الطيب وبعض أفراد أسرته الكريمة.

وفي ختام الاحتفال قدمت السيده جوهرة باقات ورودٍ للشعراء المحتفين بالحبر

العلامة البروفيسور عبدالله الطيب وهم الأساتذة : جعفر حامد البشير، والدكتور محمد الواثق، والدكتور بابكر البدوي دشين، وعبدالمجيد حاج الأمين، وصديق المجتبى، وجعفر محمد عثمان، ومصطفى عوض الله بشاره، وآية يوسف، ومحيي الدين الفاتح، وخالد فتح الرحمن، والتجاني حاج موسى، والشاعر الشاب أبوعاقلة إدريس الذي اختار أبياتاً رصينة للشاعر الراحل مختار محمد مختار وأجاد إلقاءها على أسماع الحاضرين بأداءٍ مميز جذاب.

وأقام المجلس القومي لرعاية الثقافة والفنون بالخرطوم بإشراف أمينهِ العام الأستاذ السموأل خلف الله ليلة ابتهالٍ وتضرع ودعاء لله سبحانه وتعالى بأن يشفي أديبنا الكبير عبدالله الطيب فيهبه نعماء الصحة والعافية ليعود إلى ساحات الفكر والإبداع أكثر نشاطاً وحيوية.

٣٠ قرشاً
آخر ساعة
AKHER SAA
2748
العدد ٢٧٤٨ ـ ٢٤ يونيو ١٩٨٧ ـ ٢٨ شوال ١٤٠٧ هـ



● مأمون غريب

الأديب السوداني مصطفى بشارة :

أفضال الثقافة المصرية على الأدب العربي لا ينكرها أحد

● هؤلاء العمالقة أرشحهم لجائزة نوبل : توفيق الحكيم . . نجيب محفوظ . . عبد الله الطيب

● الى القاهرة ـ جاء الشاعر والناقد السوداني مصطفى عوض الله بشارة ضمن العلاقات الثقافية بتعمق الأبناء السودانيين وهو من المعروفين داخل السودان وخارجه لما نشره من روايات وقصائد وقصص قصيرة ودراسات أدبية ونقدية في مختلف الصحف والمجلات العربية المتخصصة وغير المتخصصة .

ولأن الأديب الشاعر على دراية كاملة بالأدب العربي في مختلف أقطاره . كانت هذه الوقفة والحوار الذي يعطي رؤية للشاعر وناقد معاصر ..

● هل يمكن إعطاء صورة عن الأدب السوداني المعاصر ؟

ـ اذا أردت أن أحدد أهم الملامح الفكرية والإبداعية لمسيرة الأدب السوداني المعاصر لابد أن أشير هنا الى فترة الثلاثينات (١٩٣٠ ـ ١٩٣٩) في السودان حيث شهدت الحركة الأدبية والثقافية ازدهارا ملحوظا وتطورا ملموسا في شتى مجالات الإبداع الأدبي والفني

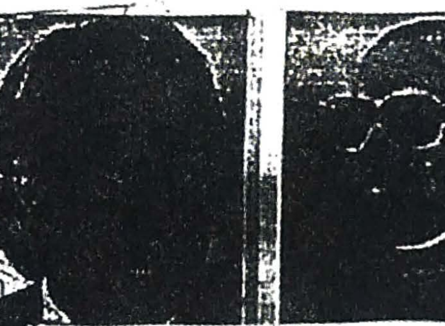
مصطفى بشارة

● باعتبارك شاعرا تكتب من خلال الشعر العمودي ، هل تعتقد بأن في الإمكان التعايش بين الشعر العمودي والشعر الحر ؟

ـ أعتقد أن التعايش بين الشعر العمودي والشعر الحر قد أضحى مستحيلا .. ! لأن ما نقرأه في هذه الأيام من نماذج شعرية ضعيفة المبنى بالأقلام شعراء (محدثين) لا تجعلني متفائلا كثيرا بمستقبل هذا الضرب من الشعر

ومع تقديري للتجارب الرائدة في مجال الشعر الحديث والتي تزعمها لفترة طويلة السياب والبياتي وصلاح عبد الصبور . والدكتور حسن فتح الباب وغيرهم من مبدعي هذا النمط الشعري .. إلا أن من الملاحظ حقا أن الجيل التالي لهؤلاء الرواد لم يتمكن بعد من تطوير والشكل الجديد لهذا النمط من الشعر .

الشعر المرحي في السودان



جائزة نوبل

● وتوجهت للشاعر الذي يجد سلواه في الشعر بسؤال اخير :

ـ من ترشحه لجائزة نوبل في الأدب العربي ؟

اذا تخلت الهيئة الدائمة لجائزة (نوبل) عن النظرة السياسية . وتجردت من الأهواء والأغراض فانني ارشح لها من السودان البروفسور عبد الله الطيب ومن مصر ارشح لها توفيق الحكيم ونجيب محفوظ .

و .. ينتهي الحوار وبتداعى الى خاطرى شريط طويل من الذكريات عن التاريخ المشترك .. والأماني المشتركة والاحلام الواحدة .. التي تربط بين شطرى الوادى العظيم .. وادى النيل .. عبر مختلف العصور !

اننا نركب قاربا واحدا .. نحو هدف واحد .. ومستقبل واحد .. و .. ايضا مصير واحد ..

.. نموذجان من إهداءات البروفسير عبد الله الطيب للمؤلف:

إلى الأستاذ الشاعر الأديب
مصطفى عوض الله بشارة
مع التقدير والمودة

إلى الأديب الكبير
الأستاذ مصطفى عوض الله بشارة
عبد الله

١٩ من ربيع الثاني
١٩٨٥/١٢/٢١



مضان ١٤١٨هـ - الموافق ٢١/١٢/١٩٩٨م العدد (٨٧٢) -يومية-سياسية-مستقلة-تأسست عام ١٩٩٥م-

الشعر السوداني عبر التاريخ

يقيم مجمع اللغة العربية المحاضرة الشهرية التي ظل المجمع مداوماً على تنظيمها دورياً وذلك في يوم غد الثلاثاء بقاعة الشارقة في تمام الساعة العاشرة صباحاً المحاضرة بعنوان الشعر السوداني عبر التاريخ يقدم المحاضرة الأستاذ الشاعر مصطفى عوض الله بشاره ويدير النقاش فيها البروفسير عبدالله الطيب ..



بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الاسلامية

كلية الاعلام

جمعية دعاش

وفاء وعرفان

السيد/ مصطفى عوض الله بشاره

المحترم،،،

بكل الإجلال والتقدير نتقدم إليكم بأسمي آيات الشكر والوفاء عرفاناً منا بما أسهمتم في إنجاح تكريم البروفيسر عبدالله الطيب. لقد كان لإسهامكم الأثر المثمر في أن يخرج التكريم بثوبه القشيب.

ودمتم زخراً للوطن ،،،

كتب صدرت للمؤلف

١) النهضة الفنية في السودان - صدر عن مطبعة مصر بالخرطوم.

٢) عواطف وقلوب «مجموعة قصص قصيرة» - الطبعة الأولى صدرت عن مطبعة التمدن بالخرطوم والطبعة الثانية صدرت عن دار القومية للثقافة والنشر بالقاهرة.

٣) من الأعماق - صدر عن دار القومية بالقاهرة.

٤) من أعماق الفكر - صدر عن دار البيان العربي بالقاهرة.

٥) من أجل الحياة - صدر عن مطبعة عزت خطاب بالقاهرة.

٦) بطاقة حب - ديوان شعر صدر عن مطبعة النيل بالخرطوم.

٧) أضواء النقد - صدر عن الدار السودانية بالخرطوم.

٨) زورق المشاعر - صدر عن دار الثقفة بيروت - لبنان.

٩) أغاريد من الوجدان - ديوان شعر صدر عن دار القومية للثقافة والنشر بالقاهرة.

١٠) قيثارة ودموع - رواية - صدرت عن دار القومية للثقافة والنشر بالقاهرة.

١١) الحب على أجنحة الشوق - رواية صدرت عن دار القومية للثقافة والنشر بالقاهرة.

١٢) محاورات في الأدب والفن - صدر عن دار القومية للثقافة والنشر بالخرطوم.

١٣) أشواق وأنغام - ديوان شعر صدر عن دار السودان الحديث بالخرطوم.

١٤) القصة العربية من منظور إسلامي - صدر عن المؤسسة العامة للطباعة والنشر بالخرطوم.

كتب تحت الطبع للمؤلف

١/ الشعر السوداني على منصة التاريخ.

٢/ مدن الإلهام

٣/ سُبحات .. وتأملات

٤/ الأغنية الحماسية في السودان

٥/ نظرات بين المزهر والمجهر

٦/ مواقف .. وأفكار

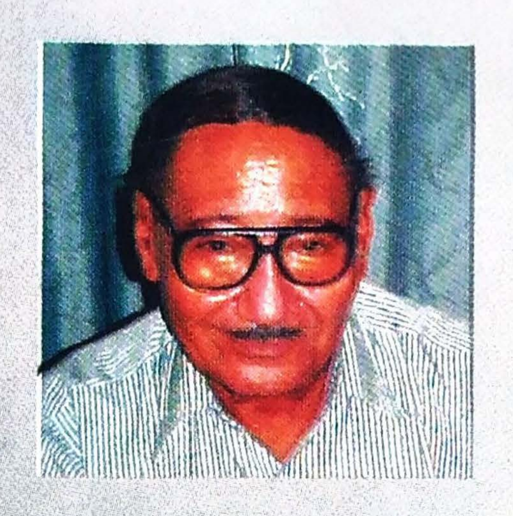
٧/ حضارة الإنسان في الإسلام

٨/ أحزان الفتاة الضاحكة «مجموعة قصص قصيرة»

٩/ الحب والقمر – ديوان شعر

١٠/ مشاهد .. وذكريات

رقم الإيداع: ٣٤٢ / ٢٠٠١



المؤلف

مصطفى عوض الله بشاره

- من الأدباء السودانيين المعروفين داخل السودان وخارجه.
- نشر روايات وقصائد وقصصاً قصيرة ودراسات أدبية ونقدية في العديد من الصحف والإصدارات السودانية والعربية.
- نال ميداليات فضية وذهبية وشهادات تقديرية من مصر وإيطاليا والصين في مجال الآداب والفنون وحائز على وسام الدولة للعلم والآداب والفنون.
- اشترك وساهم في تقديم برامج عديدة للتلفزيون والإذاعة السودانية وتلفزيون وإذاعة القاهرة وصوت العرب ووادي النيل وإذاعة لندن BBC.
- أصدر عدة مؤلفات في شتى مجالات الإبداع الأدبي والدراسات النقدية.
- كتب أغنيات وطنية واجتماعية ودينية وعاطفية وشارك في تقديم ندوات ومحاضرات وأمسيات شعرية في الجامعات والمعاهد العليا والأندية الثقافية في السودان وخارجه.